

في المدينة...  
 - في السرفيس إلى تركيا ص4  
 - ثلاث أمنيات لزوجة رجل أمن ص5  
 - انهيار المنظومة الصحية بدير الزور ص6  
 - لم يعد في دير الزور تكايا ص7  
 - شهادات عن سبي الإيزيديات ص9  
 - في تصنيف جنود "الدولة" ص10+11  
 - المعتقلون في سجون الأسد  
 - ملف ص13-16

# عين المدينة

نبنيها معاً

www.3ayn-almadina.com  
 facebook.com/3aynAlmadina

مجلة نصف شهرية مستقلة

عين المدينة | العدد (41) | 16 كانون الثاني 2015

## عشرة ملايين لاجئ ونازح.. عشرة ملايين وجه للتغريبة السورية

تحت العنوان العام الذي بات معروفاً، من وصول عدد من اضطروا إلى مغادرة أماكن سكنهم في سورية، إلى عشرة ملايين، ثلثهم من لاجئي الخارج وثلثاهم نازحون داخل البلاد، وفق إحصائيات الأمم المتحدة؛ تقبع عشرة ملايين قصة... إن مجرد التفكير في ذلك شيء مذهل! أي تاريخ سيسجل خطوات كل هؤلاء البشر... يغادرون منازلهم ببطء أو على عجل... يتركون ألفة حاراتهم وغرفهم ومعيشتهم... يمضون في المجهول. يحضرون جوازات السفر، أو يقطعون الحدود مذعورين من الرصاص أو الدوريات، أو يركبون البحر مخاطرين... يمضون ليالي في حساب الميزانية الطارئة بعد دفع أجرة السكن الباهظة، أو ينتظرون قبولهم في أحد المخيمات... يبحثون عن العمل؛ آية فرصة عمل.

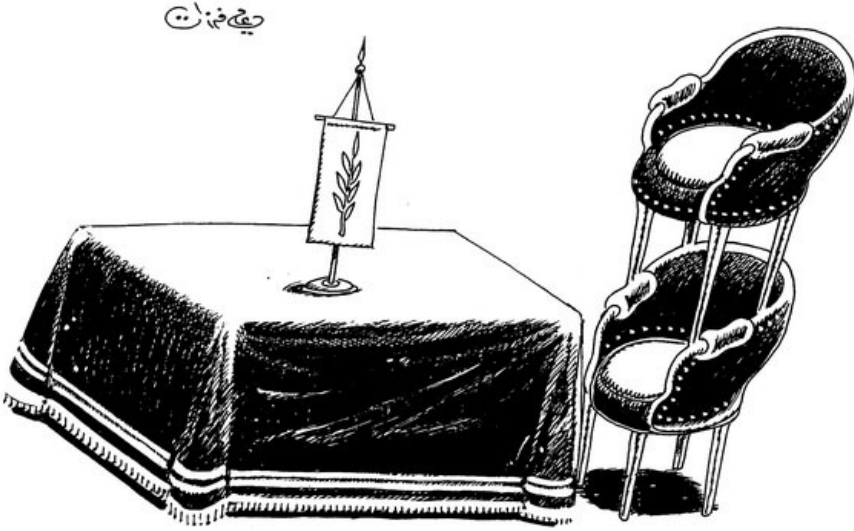
ولكن الأخطر هو أن الأمر ليس فوق كل تصور أو قدرة على الاستيعاب المنطقي فقط، بل أنه يفوق آية إمكانية عملية للمعالجة والتدبير. ففي داخل البلاد ينهار الاقتصاد وتنحسر الأعمال، وتتضاءل قدرة الأقارب والميسورين على المساعدة، كما جرت عادة مجتمعاتنا. وفي الخارج تغطى دول الجوار عن تأمين المسكن والعمل لكل هذه الأعداد المتزايدة، وبعضها ينوء أصلاً تحت وقع مشكلاته.

هل يمكن فعلاً أن نشرح لأحفادنا أن كل هذا قد حدث لأن شخصاً واحداً قرّر، ذات يوم في منتصف آذار 2011، أنه لن «يتنازل» للشعب عن أي شيء مما ورثه من البلاد وما عليها، من مدن وبلدات وقرى و... بشر!



## لقاءً تشاوريًّا للمعارضة في القاهرة.. وإسرائيل تجدد تمسكها بالأسد

هيئة التحرير



حدّد نائب وزير الخارجية الروسي، ميخائيل بوغدانوف، يوم 26 من الشهر الجاري، موعداً لبدء لقاءات بين ممثلي النظام السوري وبعض الشخصيات التي تحسب نفسها على المعارضة، في ظل مقاطعة الائتلاف الوطني، الذي شكك في نزاهة الراعي الروسي لهذه المفاوضات. وقال الائتلاف إن روسيا: "لا تعمل على إنهاء الأزمة السورية. وإن الروس غير جادين، بسبب أنهم يرون نظام بشار الأسد في كل شيء". وأعلن معاذ الخطيب، الرئيس الأسبق للائتلاف، والذي يعمل بصفته الشخصية، أنه هو الآخر سيقاطع هذه اللقاءات، التي ستقتصر على وفد النظام وأفراد قادمين من دمشق بتشجيع ورعاية منها، سيمثلون وفد المعارضة، مما يقلل من أهمية لقاءات موسكو إلى حد كبير، ويجعلها مفاوضات بين النظام والنظام.

وفي سياق متزامن تتواصل التحركات المصرية لعقد مؤتمر في القاهرة يضم وفدين لكل من الائتلاف وهيئة التنسيق، يوم 22 من الشهر الجاري. وقللت هيئة التنسيق من أهمية مؤتمر القاهرة، إذ اعتبرته مجرد مشروع، مشككةً بالتزام الائتلاف بما سيتم التوافق عليه، كما حدث في الاجتماع الأخير بينهما، بحسب الهيئة. وفي إسطنبول فاز خالد خوجة برئاسة الائتلاف بـ56 صوتاً، وسط انقسام وتناحر بين الكتل والتيارات، مما يسهم في زيادة التشظي الذي تعاني منه المعارضة السياسية بشكل عام والائتلاف الوطني بشكل خاص. ولوحظ في كواليس الاجتماعات التي سبقت عملية التصويت، تراجع كبير للاهتمام الدولي، والإقليمي خاصة، بالائتلاف. فقد أحجمت السعودية عن دعم أي مرشح للتنافس مع خوجة، كما جرت العادة سابقاً.

### كيري يشيد بروسيا

وعن الاجتماع الذي ستعيب عنه أكبر تجمعات المعارضة، قال وزير الخارجية الأميركي، جون كيري، إن روسيا تبذل

الأكبر من الترسانة الكيماوية في أماكن سرية، أغلبها داخل العاصمة، بالقرب من مقرات عسكرية وأمنية.

وكانت منظمة حظر الأسلحة الكيماوية قد كشفت، قبل أسبوع، عن أن نظام الأسد استخدم السلاح الكيماوي عدّة مرّات في مناطق من سوريا مؤخراً، وذلك بعد أن صرّح عن تسليمه لتلك الأسلحة للمنظمة من أجل التخلص السليم منها. وليس بعيداً عن ذلك كشفت صحيفة دير شبيغل الألمانية، نقلاً عن ما وصفته بالمصادر المطلعة، أن نظام الأسد يجهز منشأة نووية بالقرب من مدينة القصير على الحدود السورية اللبنانية، سلّم حمايتها لحزب الله اللبناني، وأطلق على المشروع اسم "زمزم".

### مصلحة إسرائيل في بقاء الأسد

رأى رئيس هيئة أركان الجيش الإسرائيلي الأسبق، دان حالوتس، أن مصلحة إسرائيل والدول الغربية هي في بقاء الأسد في سدة الحكم في سوريا. مشيراً، في لقاء له على الإذاعة العبرية، إلى أن "مصلحة إسرائيل والغرب هو ألا تحقق التنظيمات الإسلامية المتشددة نصراً على نظام الأسد". وقال حالوتس إن "الغرب سيرتكب خطأ كبيراً في حال سمح بسقوط نظام بشار الأسد".

جهوداً لحلّ الأزمة السورية، مشيداً بما تدعو إليه من جمع بين مختلف الفرقاء. وأشاد كيري أيضاً بالمبعوث الدولي استيفان دي ميستورا قبل زيارته المزمعة إلى دمشق، قائلاً "إن مهمة المبعوث معقدة جداً، ومهمة من أجل دفع المساعي السلمية في سوريا، خصوصاً التركيز على الجهود لوقف إطلاق النار في حلب".

وشدّد دي ميستورا على أهمية الحلّ السياسي في سوريا، وعلى ضرورة وقف القتال في حلب وفي مختلف المناطق السورية، ودخول المساعدات الإنسانية إلى المحاصرين والمتضررين. وقال، في مؤتمر صحفي عقب لقائه بوزراء خارجية دول عدّة من بينها الولايات المتحدة وروسيا، إن الجميع متفقون على ضرورة "وقف الصراع في سوريا، والخروج بحل سياسي للأزمة".

### الأسد يخفي الأسلحة الكيماوية

بعد لقاء صحفي لبشار الأسد، قال فيه إنه ضدّ قتل أي مدني بريء، كشف تقرير أن النظام الأسدي قد جهّز مخازن في مدينة دمشق احتفظ فيها بالأسلحة الكيماوية التي لم يقم بتسليمها للجنة الخاصة بذلك. وقال موقع الجزيرة نت، نقلاً عن قيادي وصفه بالكبير في قوات الحرس الجمهوري السوري، إن الأسد احتفظ بالكَم

# تقدّم للثوار في حلب.. ومعارك القلمون إلى الواجهة من جديد

هيئة التحرير

استمرّ تقدّم كتائب الثوار في محافظة حلب على عدّة جبهات. فقد أخذت المواجهات مع قوّات النظام طابع الاشتباكات القريبة والمباشرة في حيّ بستان الباشا داخل مدينة حلب، وتمكّنت كتائب الجيش الحرّ هناك من تحقيق تقدّم على حساب قوّات الأسد والمجموعات العسكرية الطائفية التي تقاتل معها. وعلى طريق الدائري الشمالي، المحاذي لحيّ بستان الباشا وأحياء أخرى مجاورة له، رجّحت نتائج المواجهات كفة الجيش الحرّ الذي سيطر على نقاط وأبنية عدّة على هذا المحور الهامّ، بعد سلسلة من العمليات الناجحة. وفي مطار حلب تمكّنت حركة حزم من إصابت طائرة من طراز ميغ 23، كانت رابضة على مدرج المطار، باستخدام الصواريخ المضادة للدروع، المعروفة بصواريخ تاو. وشهدت جبهة حيّ العامرية، في شمال غرب المدينة، اشتباكات عنيفة، دون أن يسجل أيّ طرف تقدّمًا يذكر.

أما في الريف فقد هدأت في الأيام الماضية جبهات بلدتي نبل والزهاء المواليين لنظام الأسد، بعد هجمات ضارية شنّها مقاتلو جبهة النصرة على كل من البلديتين بغية السيطرة عليهما، محققين سيطرة قلقة على أطراف بعض أحيائهما، مقابل مقاومة شرسة أبدتها الميليشيات الطائفية المدافعة عن البلديتين المحاصرتين منذ مدة طويلة.

## القلمون من جديد..

لم تعد معارك جبال القلمون، وخاصةً على الحدود السورية اللبنانية، تقتصر على هجمات الكرّ والفرّ التي كانت تقوم بها فصائل وتشكيلات المعارضة المقاتلة هناك. بل حققت تلك التشكيلات، ولا سيما جبهة النصرة، تقدّمًا لافتًا في المنطقة، إثر عملية نوعية أجبرت مقاتلي حزب الله على التراجع بعد أن قتل بعضهم وأصيب بعض آخر.

وتجددت المعارك في محيط حيّ جوبر والقابون الدمشقيين، في سياق



حلب - مقاتلان من الحر - صحيفة إيلاف

"الدولة الإسلامية" عن أجزاء من البلدة. إذ استعادت قوّات حماية الشعب الكردية السيطرة على عدّة مواقع كانت قد فقدتها، وأهمها المربع الأمني الذي يضمّ مقرّ الحكومة المحلية ووحدات حماية الشعب، والتي كان التنظيم قد سيطر عليها لمدة ثلاثة أشهر. ولم تقتصر نيران التحالف على

محيط عين العرب، بل تركّزت على منشآت نفطية تتبع لتنظيم "الدولة الإسلامية" في محافظة دير الزور، ما أدى إلى تدمير هذه المنشآت التي تضمّ مصافي نفط صغيرة وخزانات وصهاريج.

وفي دير الزور، فتح مقاتلو التنظيم جبهة جديدة مع قوّات الأسد في الجهة الغربية للمدينة، في كل من محيط الإذاعة وعباش. وشنّ التنظيم هجمات عدّة كان أبرزها تلك التي تمكّن فيها مقاتلوه من التسلل عبر القوارب إلى الضفة الجنوبية للنهر، في عمق سيطرة قوّات الأسد، بالتزامن مع هجوم مركز يراد به انتزاع مزيد من المواقع من قوّات الأسد لاتخاذها كنقاط تمرکز وقاعدة انطلاق لهجمات كبرى لاحقة، قد يكون أبرز أهدافها السيطرة على مستودعات الذخيرة المعروفة بمستودعات عباش، التي سبق أن هاجمها التنظيم في نهاية عام 2013، ومني وقتها بخسائر فادحة في الأرواح.

المحاولات المستمرة منذ أشهر من قبل قوّات الأسد لتحقيق اختراق في كل من الحيّين، وخاصةً في حيّ جوبر الذي نجح المقاتلون المدافعون عنه في صدّ هجمات قوّات الأسد المدعومة بسلاح الطيران والمدفعية والصواريخ التي لم يتوقف سقوطها على الحيّ.

## جبهات درعا بقيادة الجيش الأوّل

استمرّت عمليات توحيد الفصائل المعارضة في درعا جنوب البلاد، حيث أعلنت مجموعة من كبريات الفصائل توّجدها باسم الجيش الأوّل الذي يقوده العقيد الركن صابر سفر، والذي يضمّ أكثر من عشرة آلاف مقاتل، بحسب تصريحات منسوبة لقيادة هذا الجيش. بالتزامن مع استمرار الطلعات الجوية لطائرات الأسد على مدن وبلدات محافظة درعا، وخاصةً في الجيزة وإبطع ومعربة وبصرى الحرير، إضافةً إلى حيّ المنشية داخل المدينة، مما أوقع عشرات الضحايا بين قتيل وجريح.

## محيط عين العرب تحت مرمى

### نيران التحالف

صعدت طائرات التحالف الدولي غاراتها على محيط بلدة عين العرب/كوباني، ما أدى إلى تراجع مقاتلي تنظيم

# في "السرفيس" إلى تركيا

أحمد الصالح

من مدينة الميادين، تنطلق بنا الحافلة الصغيرة "السرفيس" فجراً، وغايتنا الحدود التركية. كان السائق مرحاً وهو ينبهنا إلى ضرورة التخلص من كل ما يمت إلى عادة التدخين بصلته، وأن نقلل من "الأخذ والعطاء" مع عناصر "الدولة" على الحواجز.



عبور الحدود التركية تهريباً

"صياعة". شدت القصة الركاب والسائق أيضاً، الذي بدا مصغياً لمجريات التحقيق حين اتسعت لأتحة التهم الموجهة إلى الحلاق. "قلت له، أقسم بالله من دخلت الدولة عالمحافظة ما حفيت حواجز زبون، وما بي زبون يستجري يحف حواجه أصلاً، أو حتى يحنجر دقنه. وأنه كل شغلي هو قص شعر الراس وتعديل اللحية بالمقص. وما أعرف ليش صدقو أجيري المهبول وكذبوني، وما عندهم ولا دليل ضدي".

على الحاجز الأخير في الأراضي التي يسيطر عليها تنظيم "الدولة"، قبل أن ندخل مناطق الجيش الحر في ريف حلب، سئل الحلاق عن الحقيبة، وعن التزامه السابق بمحرّمات الحلاقة، وسئل المحامي عن مهنته فأجاب بأنه موظف حكومي مفصول من عمله. ونزلنا لتأدية صلاة الظهر، قبل أن ننطلق مرّة أخرى، على وقع أغنية مسجلة من حفلة عرس، شغلها السائق وهو يخرج علبه تبغ ويضيفنا بالراح. كشفت زوجة المحامي وابنتاه عن وجوههن. واقترنا من الحدود.

أخطاء لا يكفون عن ارتكابها، وخاصةً أثناء مرورهم بحواجز تنظيم "الدولة" في ريف حلب، التي علق خلالها كثير من أبناء دير الزور المسافرين إلى تركيا، حيث تخضع الحقائق والجوالات والأجسام في بعض الحالات لتفتيش دقيق.

"حواجز حلب" هي فقط التي تخيف الراكب الشاب من بين حواجز "الدولة" كلها؛ "يعني مثلاً أنا حلاق، وشايل عدتي معاي، وطالع أترزق الله بأورفا. يجوز هالعدة هاي توقضي عندهم كذا يوم". "أنت حلاق"، استنكر المحامي مهنة الشاب الذي بدا بالفعل أحسن من أن يكون حلاقاً، لكنه فسّر ذلك بأنه ترك المهنة منذ شهرين تقريباً، وأهمل نفسه هكذا بعد أن تعرّض للاعتقال، بحسب ما روى حكايته التي بدأت بصفحه لأجيريه لأنه يترك العمل بلا إذن و"يصيح" لساعات في الشوارع، مما دفع الأجير إلى الوشاية بمعلمه للحسبة، بتهمته "حنجرة" ذقون الزبائن، والسخرية من قوانين الدولة الخاصة بالحلاقين. إضافة إلى صفح الأجير الذي كان في درس ديني، واعتبار الدروس

"إذا وصلنا الظهر، يقدرين المهربين يعدونا فوراً؟"، سأل راكب في الأربعين السائق الذي طالبه أن ندعو الله أن نصل سالمين فقط، ثم يفكر بعد ذلك بالحدود. استجاب الراكب مدمماً بدعاء سريع وهو يلتفت إلى زوجته وابنتيه في المقعد الخلفي. وبعد الحاجز الأول عند جسر الميادين، الذي اكتفى أحد عناصره بفتح الباب والسلام علينا، ثم إغلاقه مع الدعاء بالتوفيق؛ عرف الرجل في جواربي عن نفسه بأنه محامي، وأنه نازح إلى تركيا مع عائلته. وكّرر السؤال عن المدة التي يتطلبها "العبور"، فأجبتته بأن ذلك يتوقف على الظروف. لكن شاباً يجلس أمامنا تدخل في الحديث مقدماً لأتحة بالخيارات الممكنة في طريقة وزمن "التهريب" لكل شخص ليس لديه جواز سفر، أو انتهت صلاحية جوازه، وهذا حال المحامي الذي عبر عن ندمه لأنه تراخي في مسألة تجديد الجوازات. وتساءل متوجهاً إلى السائق إن كانت توجد أيّة طريقة للعبور بشكل محترم عبر البوابة، مما أثار غضب السائق الذي طالبه بأن "يصلني على النبي، ويقلل من هذه الأسئلة في هذا الصباح". همست المرأة لزوجها بأن يهدأ قليلاً. وهو طلب في محله من هذا الرجل الذي وقع، منذ تحرّكت السيارة، في أخطاء عدة يجب على المسافرين أن لا يقعوا فيها، بحسب التقاليد الجديدة التي تشكلت مع سيطرة التنظيم على دير الزور. فقد باح لي، وهو لا يعرفني من قبل ودون مبرر، بمهنته التي تعد محرّمة. وتعجل بالسؤال عن أمر لا يجب على مسافرين في رحلة قد تكون خطرة التفكير فيه. وبدا باحثاً عن الترف باستفساره عن "طريقة محترمة" للعبور في هذه الظروف التي لم يبق فيها شيء على حاله. لكن خرق تقاليد السفر هذا، وبأسلوب المحامي، يحدث في كلّ رحلة تقريباً، إذ يميل الناس إلى التعارف دون هداف سوى تقطيع الوقت. وينفع الحظ وحده في نجاة الكثيرين من براثن الاعتقال بسبب

## ثلاث أمنياتٍ لزوجة صفّ ضابطٍ في المخابرات العسكرية

عايدة عبد الكريم

في صالون حلاقة نسائية، في أحد الأحياء التي ما زال يسيطر عليها النظام في مدينة دير الزور، كانت زبونات السيدة (م) متنوعات، بين من تؤيد نظام بشار الأسد ومن تعارضه معارضة صامتة.



اعتادت السيدة (م) على هذا التنوع، وتعلّمت كيف تخاطب الجميع وتكسبهن للعودة إليها مرةً أخرى. وتعلّمت كذلك كيف تحصل على كثير من التسهيلات التي تنفع أفراد عائلتها عن طريق بعض زبوناتهما من زوجات ذوي النفوذ، ومن دون أن تحسب في عداد مؤيدي النظام؛ رغم ما تقوم به أحياناً من دفاع عن بعضهن أمام المعارضات مثلي، حين سألتها همساً عن المرأة "الغربتلية" التي تترزين بمكياج ثقيل في هذا الصباح: "هاي أم زين. علوية. جوزها بالأمن العسكري، بس درويشة. وخطية ما لها ضنا بعد عشر سنين زواج". وأضافت السيدة (م)، بعد أن طلبت منا جميعاً أن نوافقها على شرب القهوة: "فقيرة - أي طيبة وبسيطة وضعيفة - وجوزها درويش زبدين. هو بالدير من زمان. ويساعد الناس. وبحياته ما أذى أحد". وهمساً أيضاً تواصل (م) تعريضي بزبوناتها اللاتي كن يتحدثن عن البرد: "أم النظارات الطيبة جوزها معتقل من سنة. وهاي بنتها، واليوم خطبتها. واللي شعرها مميّش أخوها شهيد وجوزها مؤيد. وهاي المصروعة أم الموبائل اللي ما يوقّف بالدفاع الوطني. من بيت .... وتقول اليوم قناة الدنيا راح تصوّره".

زين كمادة رئيسية للحديث، بأن نُبّهت إلى تأثيرات الرعب المحتملة إيجابياً في تحقيق الحمل: "هذيك صار لها 18 سنة متجوّزة. نزل هاون ضربوه الجيش الحر بيت جيرانهم، وحبلت بعد شهر. وهذيكياها هسّع عندها ولد صار عمره سنة". لمعت عينا أم زين فرحاً بقصّة حمل مثل هذه. وعلقت متطوعة الدفاع الوطني بأنها لا تستطيع أن تدعو لأم زين بأن يسقط هاون قريباً منها، فردت أم زين: "ادعي حبيبتي معلى. المهم يصير صبي كيف ما كان يكون". ثم أظهرت نزقاً مفاجئاً بجوّال المتطوعة الذي لم يتوقّف عن الرنين على نغمة "دكتور العرب بشار... رئيس الجمهورية".

تحاول أم زين تقليد اللهجة الديرية. ولم ينقطع ودها لمعارفها وأصدقائها من أهل دير الزور بعد اندلاع الثورة. ولم تسافر مثل غيرها من الزوجات الغربيات حرصاً على سلامتهن. لكنها لا تكف عن إبداء تعجبها من معارضة بعض الناس لبشار الأسد، وتعجبها من الطائفيين والطائفية التي تفرّقنا نحن الأخوة، بحسب ما تقول. وتستشهد بحبها وحب زوجها لدير الزور، التي قضى فيها شبابه متطوعاً في المخابرات خلال 17 عاماً كان "يخدم فيها الوطن"، على طريقته بالطبع.

لها، وبإخلاص، ورغم فارق السنّ غير الكبير بينهما: "الله كريم يا بنتي. خلي أملك بالله". واستأنفت أم زين مناجاتها: "يا ربّ تفرّحنا بصبي، وترجع لي ابن عمي، وتحمي لي هو". وختمت أم زين مناجاتها العلنية في صالون الحلاقة بدعاء عام: "ربيّ تحمي دير الزور، وطرطوس، وسوريا كلا". ولم تتمالك زوجة المعتقل نفسها من المشاركة بالتأمين على الدعاء، رغم صدوره عن زوجة مجرم وابنة عائلة مجرمين، كما ينظر معظم سكان دير الزور إلى منتسبي جيش الأسد ومخابراته.

ينشطر الحديث إلى أحاديث فرعية بين كل اثنتين من النسوة، متطوعة الدفاع الوطني تحاول إقناع أم زين بمرافقتها اليوم عصراً إلى مكان ما. وزوجة المعتقل وابنتها وشقيقة الشهيد زوجة المؤيد ينشغلن بحديث عن وفاة رجل بالجلطة القلبية في الحسكة، وإذعان أبنائه للنصيحة بدفنه هناك، مخالفين وصيته بأن يدفن في دير الزور، التي نزع عنها مع النازحين قبل عامين ونصف. وعثرت السيدة (م) بدورها على موضوع خاص بنا نحن الاثنتين عن محاولات داعش المتكررة لاقتحام الجورة من جهة الغرب. ثم لم تلبث أن استعادت أم

مع القهوة، تعددت المواضيع التي تحدثت بها النسوة، تعطيل محتمل للمدارس بسبب العاصفة؛ داعش التي تدعمها كل من أمريكا والسعودية وتركيا وإسرائيل؛ الذكرى العاشرة لزواج أم زين، مع مباركات وأمنيات حميمة بأن يأتي العام القادم ويكون زين في أحضانها. وتناثر المرأة التي تذكرت أن زوجها الآن على جبهة المطار، وأنها بعيدة عن أهلها في برمانّة المشايخ في ريف طرطوس، وأنها بلا أطفال: "أبقى أصبر يا رب... أبقى أصبر يا رب. أبقى ترزقني شقفة ولدا". تأثرت النسوة جميعهن بمناجاة أم زين. وتعاطفن معها تعاطفاً أنثوياً خاصاً، بمن فيهن زوجة المعتقل التي قد يكون أبو زين واحداً من الذين ألقوا القبض على زوجها. وهي تحديداً من قالت

## انهيار متسارع في الواقع الطبي لدير الزور وتنظيم الدولة يتدخل بافتتاح كلية للطب في الرقة

فراس العمري

تصنّف منظمة الصحة العالمية سورية في حالة طارئة إنسانياً من الدرجة الثالثة، وهي الدرجة الأشدّ خطورةً في السلم الذي تعتمد عليه المنظمة. وفي دير الزور، وهي المحافظة المتخلفة أصلاً في مستوى الرعاية الصحية العامة قبل الثورة، بالمقارنة مع المحافظات السورية الكبرى، يبدو الوضع أسوأ.

تهديد قائم بالفعل، حسب ما يؤكد كثير من العاملين في الحقل الطبي. وأشارت خطوة تنظيم "الدولة الإسلامية" بافتتاح كلية للطب في مدينة الرقة سخريّة كبيرة في أوساط الأطباء، وخاصةً مع اختصار عدد سنوات الدراسة فيها إلى ثلاث فقط، وفق ما جاء في الإعلان الذي صدر حول هذه الكلية، التي خفّضت شروط الانتساب إليها من شرط معدّلات النجاح المرتفعة، مكتفيةً بمعدّل 80% لمن حصل على شهادة الثانوية الفرع العلمي، أو يخضع الحاصلون على المعدّل ذاته في الشهادة الإعدادية لامتحان تنافسيّ للذين لم يحصلوا على شهادة الثانوية، بحسب الإعلان. ويؤكد أطباء أن مصير هذا المشروع هو الفشل، بسبب افتقار التنظيم إلى الكوادر المؤهلة للتدريس في هذه الكلية، إضافةً إلى الشروط "الغريبة" للانتساب إليها، فضلاً عن الافتقار إلى البنية الفنية اللازمة. ويكشف إعلان افتتاح هذه الكلية عن إحساس بدأ يتكوّن لدى التنظيم بخطورة الوضع الصحي العام، وعن محاولته لتقديم الحلول، وإن جاءت غير منطقية ومرتجلة.

وإلى جانب مغادرة العاملين في الحقل الطبي، تبرز مشاكل نقص الدواء والمستلزمات الطبية كأحد أبرز مسببات الانهيار المتسارع للمنظومة المؤقتة، التي كان النشطاء الطبيون المحليون قد تمكّنوا من تأسيسها كبديل عن منظومة وزارة صحّة النظام. إذ تخفي بعض أنواع الأدوية الضرورية لأسابيع عدّة من الصيدليات والمشايف. ويفسّر أحد الصيادلة في مدينة الميادين هذه المشكلات بتراجع نشاط المنظمات والهيئات الطبية بسبب العواقب القانونية واللوجستية التي ظهرت بعد الشهر السادس من العام الماضي، وهو الشهر الذي أكمل فيه تنظيم "الدولة" سيطرته على محافظة دير الزور. إذ تقلصت المرونة المتاحة أمام هذه المنظمات في دعم وتمويل مشاريع صحية جديدة، أو اكتمال رعايتها لمشاريع قائمة. كما خلق إغلاق كل من معبري تل أبيض وجرابلس الحدوديين عائقاً كبيراً أمام وصول المساعدات الطبية إلى المحافظة، وخاصةً مع صعوبات ومخاطر النقل انطلاقاً من المعابر الأخرى، بحسب ما يقول الصيدليّ الذي نبه إلى هشاشة الإمكانيات الصحية أمام أية جائحة أو وباء قد ينتشر فجأة. وهو

فقد شهد واقع الخدمات الصحية تراجعاً كبيراً خلال السنوات القليلة الماضية، وازدادت حدة هذا التراجع خلال الأشهر الستة الأخيرة، التي وقعت فيها المحافظة تحت سيطرة تنظيم "الدولة الإسلامية". فقد تناقص، مرّةً أخرى، عدد العاملين في الحقل الطبي، وخاصةً الأطباء الاختصاصيين والعاملين، الذين شهدت المحافظة موجة نزوح جديدة لهم. ويقدر بعض العاملين الطبيين نسبة من هاجر من أطباء دير الزور بعد الثورة بأكثر من 80% من العدد الكليّ لهم قبلها. وتركزت موجة النزوح الأخيرة في الطواقم العاملة في المشاي العامة والميدانية، أي المؤسسات الصحية التي تقدّم خدماتها بالمجان، بالتزامن مع عجز معظم السكان عن تحمّل تكاليف العلاج والكشف الطبي في المشاي والعيادات الخاصة، أو دفع ثمن الدواء، نظراً لارتفاع مقدار هذه التكاليف بالمقارنة مع المتوسط العام للدخل، نتيجة الانخفاض الكبير في قيمة الليرة السورية.

وكان لهجرة العاملين في الحقل الصحي، من أطباء وفنيين وممرضين، دور كبير في تراجع أو إغلاق بعض المشاي والمستوصفات العامة والخيرية. إذ تكاد مشفى البوكمال العامة أن تغلق أبوابها بعد نزوح معظم موظفيها. في حين كان للغارات الجوية إسهامها في إغلاق مشاي أخرى، مثل مشفى الطب الحديث في مدينة الميادين، التي دمّرت طائرات الأسد أجزاء واسعة منها. وتتعرّض كل من مشفى موحسن الميداني في ريف دير الزور الشرقي، ومشفى الكسرة في الريف الغربي، لاستهداف متكرّر. ويفسّر أحد الأطباء الميدانيين، رافضاً الكشف عن اسمه، سبب مغادرته، وكثير من زملائه، بحالة اليأس والإحباط العام وتراجع الآمال بمستقبل أفضل: "فالطبيب إنسان أيضاً، يعيش في هذا المجتمع ويعاني ما يعانيه أفراد، ومن واقع ينتقل من سيء إلى أسوأ".



من أرشيف مشفى موحسن الميداني

## من يقرأ اليوم في دير الزور؟!

خليل عبد الله

من المغامرات التي قد تؤدي بصاحبها إلى المخاطر، حمل كتاب لا يعجب تنظيم "الدولة الإسلامية" (داعش) والتجول به في الشارع. والكتب التي لا تعجب التنظيم هي كل الكتب، باستثناء الكتيبات التي توزعها نقاطه الإعلامية والدعوية، تلك المطبوعة على عجل وبأحرف كبيرة، تحض على بيعته الخليفة وتكفر من يناصب "الدولة" العدا.

وفي دير الزور، كما في غيرها من المدن الخاضعة لسيطرة "داعش"، يحاول من اعتادوا قراءة الكتب التكيف مع الظروف الراهنة، إذ تنقل الكتب بحذر شديد وتخبا بعناية في أمكنة وزوايا لا تخطر على بال عناصر "داعش" إن تعرض المنزل للتفتيش. وقد تمكن محمد، وهو واحد من قراء الكتب النادرين أصلاً، من مواصلة عادته في القراءة اليومية رغم الظروف الصعبة والخطرة التي مرت بها المدينة سابقاً. لكنه يشعر اليوم بالخوف عندما يتخيل "الداعش يدهمون البيت ويشوفون هالكتب". حتماً سيكون محمد في ورطة إن وقف أي رقيب من داعش أمام روايات ماركيز ونجيب محفوظ وكوندرا وكويلو. ولكن الشاب يضيف أنه، ورغم خوفه هذا، لم يتوقف عن استعارة الكتب من صديق "يقرأ الكتب" هو الآخر، كان له دور في نقل جزء من مكتبة المركز الثقافى وحفظها في مكان أمين، لو عرفت به داعش لحوّلت الكتب إلى كومة من نار ورماد، كما فعلت مرات عدة في أمكنة مختلفة.

## لم يعد في دير الزور "تكايا"

منذر إبراهيم

قبل أيام، أجهز تنظيم "الدولة الإسلامية" (داعش) على ما تبقى من تكية "الراوي" في مدينة دير الزور، بتدميرها بالمتفجرات. ليمحو بذلك بناءً، يتجاوز عمره 130 عاماً، عن الوجود.

أبناء دير الزور، الذين يصعب عليهم اليوم تصور مدينتهم من دونها. وقد ألحق هدم داعش للتكية حزناً إضافياً في أنفس هؤلاء، فوق أحزانهم المتجددة كل يوم من أيام الحرب، بحسب ما يقول عبد الله، المتصوف -سراً في عهد داعش- وطالب الجامعة السابق: "قبل سنتين، ضربت طائرة بشار التكية وتهدمت القبّة، واليوم مضخات داعش كملت المهمة". ويضيف عبد الله، الذي خبا كتب التصوف خوفاً من السلطة الحالية التي تعد هذه الكتب ردةً وخروجاً عن الإسلام: "داعش مثل نظام البعث، اثنياتهم احتلال للبلد ولحياة الناس".

قبل الثورة، لم يكن في قوائم مديرية الآثار والمتاحف بدير الزور الكثير من الأبنية المحمية كمواقع تراثية، بعد أن أزلت سلطة البعث المدينة القديمة، المعروفة باسم الدير العتيق، عام 1968. وأثناء الاعتداءات المتكررة لقوات الأسد على المدينة، خلال السنوات القليلة الماضية، دمرت معظم الأبنية التراثية. لتأتي خطوة داعش الأخيرة في السياق البربري ذاته، من حيث استهدافها بالماضي الذي لا يعجبها بدعاوى فقهية خاصة.

بعد العصر، في الأوقات الكسولة الذي تمر بها المدن الصغيرة أيام الجمع، كان بعض المتصوفة يجتمعون في التكية للنشيد ومدح الرسول، مع ما يرافق ذلك من حركات تشبه الرقص، تسمى عندهم بالحضرة، في مشهد نشط ومريح كان يمكن للعاين في الشارع العام بدير الزور أن يراه إن توقف عند باب تكية الراوي، وهي مكان احتفال بالأعياد والمناسبات الدينية. إذ جاء التشكل الحديث لدير الزور في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، عندما توسعت خارج موقعها القديم المعروف بالدير العتيق، مع إقامة سكان جدد فيها، قدموا من حواضر قريبة وبعيدة، من بينها رادة، المدينة العراقية التي خرج منها السيد أحمد الراوي، الصوفي الكبير الذي بنى التكية وأسس فرعاً للطريقة الرفاعية بدير الزور، تناوب أفراد من سلالته بعده على ترؤسه. كان أحمد الراوي شخصاً محبوباً ومحترماً بين أبناء مدينته الجديدة. وخلق عليه السلطان عبد الحميد رتبة نقيب الأشراف، التي تمنح عادة لأبرز الشخصيات المنسوبة إلى سلالة النبي ﷺ. وخلال عشرات السنين كانت التكية منبراً من منابر الدعوة والعلم الشرعي. وترى في أرجائها كثير من



تكية الراوي



## كيف تقاوم نساء دير الزور تسلط "داعش"

علي خطاب

وتلجأ النساء الأصغر سناً إلى أسلوب (الضلع القاصر)، إن صحَّ تعبير أم هاني. ففي ظل غياب قوانين واضحة، لا يمكن للفتيات أو للأمهات الشابات مواجهة الحياة في ظل "داعش"، كما تقول، إلا بمساعدة مستمرة من رجال العائلة، الذين لا يطبقون تطوّر احتقار "داعش" النظري للنساء إلى احتقار مادي، بإيقاع عدّة ضربات بطرف العصا على ظهور النسوة أو أكتافهنّ في الحالات التي تُخلّ فيها المرأة بالتزامها بقوانين "الحشمة"، بارتخاء نقاب هنا أو ظهور تطريز على العباءة هناك. وأعقبت كلّ حادثة تعنيف علنيّة مثل هذه هبات شعبية أجبرت "داعش" على مراجعة حساباتها. وتستشهد أم هاني بحادثة ضرب فتاة من حيّ الحميدية، دفعت إختها إلى مهاجمة دورية الحسبة، ثم إلى العصيان داخل السجن بعد اعتقالهم. وتزامن هذا مع حوادث أخرى على امتداد المحافظة، لعل أبرزها مواجهات بلدة صبيخان، التي سقط فيها العديد من القتلى من عناصر تنظيم "الدولة الإسلامية" ومن أبناء البلدة. ليس للحسبة قانون واضح، خاصّة في ما يخصّ النساء، لكن الشائع هو المراقبة المشدّدة على اللباس المفروض رسمياً من قبل التنظيم. لتبقى سلوكيات أخرى، مثل استعمال المرأة للموبايل في الطريق، أو سفرها إلى مناطق خارج سيطرة التنظيم، خاضعةً لمزاج عناصره.

للمرأة مكانةً جيدةً نسبياً في عموم مجتمع مدينة دير الزور، فهي تتعلم حين يكون التعليم متاحاً، وتعمل في كثير من الأحيان أكثر من الرجل، ويحدث في حالات عدّة أن تُسمّى البيوت بأسماء سيداتها، (بيت فلانة وأولاد فلانة). لكن التنظيم لا يقيم اعتباراً لهذه العوامل. ولا يمكن، بحسب ما يؤكد السكان هنا في دير الزور، فتح أي حوار منطقيّ مع عناصره أو مسؤوليه. ومعظم حالات استجابة التنظيم لمطالب عامة تنبع من إدراكه لمصالحه فقط. وهذا ما فهمه الأهالي مبكراً، وخاصّة النسوة اللاتي سرعان ما ينتفضن في ردّات فعل غاضبة، وخاصّة كبريات السنّ منهنّ، مستثمرات مكانتهن البارزة في الوعي العام، فلا يتورّعن عن فضح انتهاكات التنظيم، بسبب أو بدون سبب -وهو ما لا يجروّ عليه الرجال- (وبهدلة) عناصره ومواجهتهم، والدعاء عليهم (وهو ما يثير حفيظتهم). وهذا ما تفضّله أم هاني على النقاش، حين يتعرّضون لها (إذا اضطرّ التنظيم إلى السماح للمسنّات بكشف وجوههنّ، لكن هذا لا يعفيهنّ من التعرّض للتوبيخ والنصيحة القسرية من عناصر الحسبة في الشارع). وعن طريق الولولة والصياح: "وين أهل المرؤة"، تتمكن المرأة من حشد كل من يصل إليه الصوت، أو يلحظ واقعة إزعاج "أمّ مقدّرة، ضدّ سيارة الحسبة التي تضطرّ إلى الانسحاب في معظم الحالات، تجنباً لتدهور مفاجئ قد لا تحمد عقباه.

بدا في الآونة الأخيرة أن تنظيم الدولة قد غير شيئاً من طرائق تعامله الخشن مع السكان في مدينة دير الزور، وخاصّة بعد تعيين مسؤول جديد للحسبة في المدينة، تُنقل أخبار عن لطف وليونة لافتين في سلوكه، وإليه يعود "فضل" توقف العقوبات الغريبة التي كان سلفه ينزلها بالمعتقلين والموقوفين لارتكابهم "المخالفات". ويعزو كثير من السكان "إصلاحات" التنظيم هذه إلى بعض النسوة اللواتي كنّ طرفاً في حوادث عدّة فجّرت النقمة الشعبية على مسؤولي الحسبة السابقين، وخاصّة على كل من المدعوين أبو أسامة وأبو شداد. فبعد كلّ حادثة تتعرّض فيها المرأة لاضطهاد ما، تندلع المواجهات الكلامية، التي قد تتطوّر إلى التضارب بالأيدي والحجارة، بين بعض شبان المدينة وعناصر التنظيم. إضافةً إلى حالات التجمهر والتحشيد السريعة التي أحبطت محاولات اعتقال كثيرة، بالتزامن مع مئات الشكاوى المرفوعة إلى "المحكمة"، وغير ذلك من أساليب المقاومة التي تترك التنظيم وتجبره على الرضوخ -ولو مؤقتاً- لطلبات السكان.

تقول أم هاني، وهي معلمة مدرستي سابقة، إن هدف التنظيم هو "إلغاء المرأة، وإبعادها نهائياً عن الحياة العامة". وتعزو فشله في تحقيق مسعاه حتى الآن إلى العادات والتقاليد والعواطف والتربية والثقافة، التي أدت مجتمعاً إلى ذلك الفشل.





# شهاداتٌ عن سبي الإيزيديات مئة "سبيّة" في سوريا، أُجبرت معظمهنّ على اعتناق الإسلام

تقرير خاصّ

ما زال الغموض يكتنف الكثير من التفاصيل المتعلقة بسبي مقاتلي تنظيم "الدولة الإسلامية" لنساء من الطائفة الإيزيدية، إثر الهجوم الذي شنّته داعش على جبل سنجار في العراق، صيف العام الماضي. حاولت "عين المدينة"، خلال أشهر، تتبع وقائع انتقال عددٍ من الأسيرات الإيزيديات إلى سوريا، وتوصّلت إلى بعض المعطيات التي نعرض جزءاً منها هنا، مع إغفال التفاصيل التي قد تقود إلى الشهود.

## شهادات:

بتغيير اسمها، وكذلك حال الأطفال الذين وقعوا مع أمهاتهم في الأسر.

- ينقسم محتجزو الأسيرات إلى عناصر شاركوا في هجمات سنجار، وعناصر "اشترتوا" الأسيرات من المشاركين، وعناصر حصلوا عليهنّ ك"هدايا" من زملاء لهم في داعش. وجميع هؤلاء المحتجزين من المهاجرين، من دول وبلدانٍ مختلفت.

- يخضع عناصر داعش الأسيرات لضغوطاتٍ طبية في العيادات النسائية للكشف عن حالات الحمل. ولا يُعلم شيء عن مصير الأجنّة من آباء من داعش، أو مصير الأمهات الحوامل بعد ولادتهنّ، التي لم تحن بعد.

- يفري بعض عناصر داعش المراهقين من أبناء المنطقة بالانضمام إلى التنظيم والقتال في صفوفه طمعاً بالحصول على "سبيّة". إذ تحدّث أبو بكر الفنلندي، وهو مقاتل بارز في صفوف داعش، عن سهولة الحصول على إيزيدياتٍ لكل من شارك في معارك سنجار، سواء بالقسمة أو بال"شراء".

- أثارَت عمليات السبي استهجاناً واسعاً في القرى والبلدات التي يحتجز فيها عناصر داعش الأسيرات. واعتبر الرأي العام المحلي ذلك فعلاً بالغ الشناعة. وتشير الأسيرات تعاطفاً كبيراً جداً لدى الأهالي، إلا أن إجراءات داعش المشدّدة تحول دون القدرة على مساعدتهنّ على الهرب.

وفي قريةٍ قريبة من ذيبان أكّد شهودٌ آخرون أن مسؤولاً شرعياً في داعش، يدعى أبو أسامة المغربي، يحتجز فتاةً إيزيديةً لا يزيد عمرها عن العشرين، بحسب تقدير الشهود الذي استطاعوا رؤيتها، إذ سمح لها المغربي بالاحتكاك بالجوار القريب للمسكن الذي اتخذته، قبل أن يمنعها عن ذلك نهائياً. ويشرح أبو أسامة لبعض مبايعي داعش من أبناء المنطقة أنه حصل على "الجارية" كهديّة من أحد أصدقائه الذين شاركوا في هجمات سنجار، وأنه لم يقدّم أي اتصال جنسيّ بها، بل يستفيد منها كخادمةٍ فقط.

## نتائج:

اتفقت الشهادات من مناطق مختلفة من محافظة دير الزور، وبعضها منقولٌ عن مسؤولين محليين لداعش، معظمهم من المهاجرين، على المعطيات التالية:

- لا يتجاوز العدد الكليّ "للسبايا" الإيزيديات اللواتي تمّ نقلهنّ إلى سوريا المئة. توزّعن على محافظات دير الزور والرقبة والحسكة، إضافةً إلى ريف حلب الخاضع لسيطرة داعش.

- أُجبر الحائزون من مقاتلي داعش على نسوة إيزيدياتٍ بصفة سبايا، كل بشكل منفصل، "سبيته" على اعتناق الإسلام وقام

يقول الشاهد الأول، وهو شابٌ من الريف الشرقي لدير الزور، إنه تمكن، في نهاية الشهر التاسع من العام الفائت، من رؤية 10 نساء في بيتٍ واسع في مدينة أبو حمّام، التي هجر مقاتلو داعش أهلها، بعد المعارك مع أبناء عشيرة الشعيطات التي ينتمون إليها. ويقول الشاهد إن النسوة كنّ مكشوفات الرأس، بما يخالف إلزامات داعش بخصوص لباس المرأة. ويرر حراس المنزل ذلك للشاهد ب"أنهن يزبيديات" أي جوارى. ولا يفرض على الجارية تغطية الرأس أو الوجه بحسب الفقه الذي تعتمده داعش. ولاحظ الشاهد حالته من الإرهاق والذهول في أوجه الأسيرات، اللاتي قدر أعمارهنّ بما بين 18 و35 عاماً.

وتحدّث شاهدٌ آخر، من الريف القريب لمدينة الميادين، أن مقاتلاً تونسياً بارزاً في صفوف داعش، يدعى أبو مالك، يحتجز أسيرتين إيزيديتين في الثلاثينات من العمر بصفة سبايا في مسكن خاصّ به، إضافةً إلى خمسة أطفال، أكبرهم في الناحية عشرة من العمر، هم أبناء واحدة من الأسيرتين. ولا يسمح أبو مالك لأي من الأسيرتين بالخروج من المنزل، في حين يسمح للأطفال باللعب قريباً. ويصطحب أبو مالك أكبر الأطفال إلى المسجد لأداء صلاة الجماعة. وينقل عنه أن الأطفال قد أسلموا، وكذلك فعلت الأسيرتان، وأنه سيعتقهما قريباً.

ومن بلدة ذيبان، في الريف الشرقي لدير الزور، يقول شهودٌ إن اثنتين من مجموعة النسوة المحتجزات في المدينة السكنية التابعة لحقل العمر النفطي القريب من البلدة، قد تمكّن من الهرب في أوائل الشهر 11 من العام الفائت، مما أدى إلى استنفار أمنيّ كبير في المنطقة، ولا يعلم إن كان مقاتلو داعش قد تمكنوا من القبض على الأسيرتين الهاربتين.



## جنود "الدولة الإسلامية" ... حمقى ومرترقة ومؤمنون

معاوية حماد

لم يتعرّض تنظيم "الدولة الإسلامية"، منذ تمده الأخير في سوريا، لتهديدٍ جادٍ يختبر قدرته على الصمود، ويكشف مدى تماسك بنيته البشرية، وإخلاص المنتسبين إليه في الظروف الشاقة، وخاصةً الجدد منهم، ممن "بايعوا" خلال العام الفائت، والذين يشكّلون أغلبيةً عدديةً اليوم، بالمقارنة مع عدد المنتسبين إليه قبل عام، عندما اندلعت الحرب بينه وبين الفصائل والتشكيلات الأخرى، والتي انتهت باحتلاله لمساحات شاسعة من الأراضي السورية. ولا يمكن اعتبار هجمات طائرات التحالف تهديداً وجودياً، بسبب محدودية آثار هذه الضربات غير المتزامنة مع عملياتٍ واسعة على الأرض.

قبل عام، لم تكن أعداد مقاتلي التنظيم الفعّالين في سوريا وحدها، تتجاوز الألفين إلى ثلاثة آلاف مقاتل، بحسب تقديرات محليةٍ دقيقة، يضاف إليهم ما عرف في حينه بالخلايا النائمة، وهي تسميةٌ فضفاضةٌ لمجموعاتٍ صغيرةٍ من المقاتلين (10 إلى 15) بايعوا سراً وكُلفوا بمهامٍ أمنيةٍ وعسكريةٍ في قراهم وبلداتهم التي لم يغادروها، بانتظار وقوعها تحت سلطة التنظيم. وكانوا معروفين، أو مشتبهاً فيهم بالانتماء إلى "الدولة"، في أوساطهم المحلية. وصمدوا بالفعل أمام ملاحقات الجيش الحر وجبهة النصرة خلال الأشهر الستة الأولى من عام 2014. وكانت لهم أدوارٌ بارزةٌ في إخضاع بلداتهم بشكل متسلسل لسيطرة التنظيم في الأماكن التي استطاع التمدد إليها، ولا سيما في محافظة دير الزور.

وبالنظر إلى التطور العددي والنوعي الذي طرأ على بنية "الدولة الإسلامية"، بعد بسط سلطتها في الجغرافيا الحالية، يمكن تصنيف المنتسبين إليها في ثلاث فئاتٍ هي: المؤمنون والحمقى والمرترقة.

### المؤمنون بـ"الدولة الإسلامية"

هم العناصر المتدينون بالفعل، ممن دفع بهم الاعتقاد بأن "الدولة الإسلامية" في العراق والشام - بعد الإعلان عنها في ربيع العام 2013- على صواب، وبأن لها وحدها الحق الشرعي بقيادة المسلمين وتولي شؤونهم، وعليها واجب سحق "المرتدين" بأنواعهم المختلفة. والمرتد هو كل مسلم سني - غير السنة - كفارٌ بحسب التنظيم - ناصب "الدولة الإسلامية" العدا، أو اختلف معها في قضيةٍ من القضايا الرئيسية أو الفرعية في العقيدة. وهو أيضاً كل من تقتضي مصلحة التنظيم للحظية أو الدائمة أن يوصم بالردة تسويقاً لهدر دمه.

وإلى فئة "المؤمنين" ينتمي القسم الأكبر من المهاجرين، مع تمييزاتٍ لافتةٍ بينهم في الدوافع والسلوك ودرجة النضج والحياة

السابقة. فيما ينفرد العراقيون بتصنيفٍ مميزٍ وخاصٍ في "الدولة"، يمكن الحديث عنه لاحقاً. وينظر المؤمنون المهاجرون إلى تجربة "الدولة" باعتبارها لحظةً تاريخيةً قياميةً ستوسع لتشمل العالم كله، وتعيد للمسلمين مجدهم الضائع. وتصعب معرفة مدى اندماج هؤلاء - كل في بلده - بمجتمعاتهم الأصلية، ومدى انتمائهم إليها. ويصعب كذلك تصديق دعاويهم المتكررة بأنهم جميعاً تركوا حياةً رخيّةً في بلدانهم، لتلبية نداء الله. فقد تكون "الدولة" فرصةً لنزوعات التطهر والخلاص، وقد تكون كذلك وسيلةً لكسر إيقاع الحياة التي تفتقد إلى "الروح" أو إلى المغامرة. وتثير بعض المعطيات في سلوك المهاجرين وصفاتهم أسئلةً متنوّعةً تنوع بلدانهم وثقافتها. فالخليجيون هم الأكثر لطفاً مع عامة الناس. ويتفوق الشيشانيون والأوزبك والطاجيكيون في الدموية والتطرف، ولا سيما في المعارك. فيما يماثلهم التوانسة، وآخرون من المغرب العربي، في التطرف والحدة عند التعامل مع الناس على الحواجز أو كعناصر حسبة. ويميل الأوروبيون، رغم دماثة أخلاقهم، إلى العزلة وتجنب الاحتكاك بسكان المناطق التي يقيمون فيها.

وإلى جانب فئة المؤمنين بالدولة من المهاجرين، يأتي أشدّ الجهاديين السوريين جنوناً وقسوة، وخاصةً ممن كان له تاريخٌ جهاديٌّ سابقٌ للثورة (بدأ في معظم الحالات في انطلاقتين: 11 أيلول، والاحتلال الأمريكي للعراق) سواء أكان هذا التاريخ مجرد فكر ومشاعر ساكنة في الأنفس والعقول، أم كان سلوكاً حركياً تراوح عادةً بين سياحات قتالية في العراق واعتقالٍ لأشهر أو لسنواتٍ في سجون الأسد، التي زادت بدورها من قسوة هؤلاء واغترابهم عن المجتمع السوري - السني -

## الحمقى

طائفة الحمقى في التنظيم أقل من يؤدي مجتمعه، وأكثر من ينشط في الدعاية العنصرية لهذه "الدولة". يستغرب الحمقى لماذا لا ينضم الثوار المحترمون جميعاً إلى هذا الكيان الرائع، حيث يمزق الألماني جواز سفره بمجرد الوصول، ويقتحم خمسون شيشانياً جبهةً أسديّةً كاملة، ويطيّر الصينيون حفاةً خلف صفوف العدو. وحيث يجلب اللصوص والمفسدون إلى منصة الأعدام، وتتهاوى قوات الأسد أمام جيش الصادقين. للإعجاب بـ"بطولات الدولة الإسلامية" وبنقاء مقاتليها -خاصةً المهاجرين- وحده من جلب مجموعات الحمقى. وكثيرٌ منهم كان ثائراً عادياً يريد الخلاص من نظام الأسد والعودة إلى حياته السابقة. وكثيرٌ منهم أيضاً لم يكن على قناعةٍ بأن "الثورة لن تنجح إلا بتطبيق شرع الله وإعلاء كلمته"، على الطريقة الجهادية لهذا التطبيق. والواقع أن الحمقى كانوا جمهوراً متعاطفاً مع الحركات المسلحة ذات الطابع الجهادي، أو أنصاراً ومنتسبين إليها بعد أن تراجعت سمعة الجيش الحرّ وتقلصت كفاءته القتالية، قبل أن يخضعوا للمفاضلة بين "الدولة" وسواها بحكم الأمر الواقع، وتحت تأثير الهالة الدرامية التي رافقت صعودها في العام الفائت.

وتكمن صفة الحمق لدى هؤلاء في سهولته خداعهم، ويكونهم مأخوذين دوماً بفصيل ما، مبرزين ثابتين، وعن قناعةٍ، لأخطائه. ويُعثر على الحمقى اليوم بين المقاتلين والعناصر المدنيين في المواقع التنفيذية في صفوف التنظيم، إذ ينذر أن يتبوأ أي منهم منصباً ذا قيمة.

## المرتزقة

وهم المنتسبون إلى التنظيم لأسبابٍ مصلحيةٍ خاصّة، بشخصيهم أو عائلاتهم أو جماعاتهم، لحماية مكتسباتٍ سابقةٍ أو لتحقيق مكتسباتٍ محتملة، وخاصةً ممن دخلوا في منافساتٍ مع خصوم محليين على "خيرات" الممتلكات العامة وخرجوا خاليي الوفاض من هذه المنافسات. وقد كان التنافر والكيدية من الأسباب الهامة للوقوف إلى جانب التنظيم، والفشل في بناء موقفٍ عسكريٍّ ومدنيٍّ موحدٍ ضده في دير الزور. وبين "المرتزقة" أفرادٌ وجدوا في الانضمام إلى "الدولة" فرصة عملٍ تمنح مرتباتٍ شهريةً ثابتةً ومجزيةً في ظروفٍ معيشيةٍ قاسيةٍ يصعب فيها العثور على عمل. كما يمكن ضمّ محبيّ التقرب إلى السلطات الحاكمة، للظهور بمظهر ذوي القوة والنفوذ، إلى هذه الفئة. وقد كان قبول التنظيم لكل من "يتوب" من المتهمين بتهم عامةٍ قبل القبض عليه، سبباً لانضمام مخرين سابقين لأجهزة أمن النظام، ولصوص مشهورين "قاموا بتسوية أوضاعهم"، إلى صفوفه. ويميل المرتزقة إلى العمل في الأنشطة المدنية والأمنية دون القتالية. ويمكن للبارعين منهم أن يصلوا إلى مراتب معقولة.

حتماً، لن يصمد المرتزقة في أوقات الشدة والمحن، إذ سرعان ما سينقلبون على صيغتهم الحالية. فيما سيقع الحمقى في حيرةٍ مستدامةٍ بانتظار ما ستسفر عنه الأمور، قبل أن يستأنفوا أنشطتهم العامة في أطر جديدة. وسيواصل المؤمنون رسالتهم، وتحت عنوانٍ متجددٍ بأن الحرب جولاتٌ، لك وعليك.



الغارق وقتذاك في "لهوه وردته". مجتمعٌ فاجأهم حقاً بانتفاضته على نظام الأسد. وأربك حساباتهم، مؤقتاً، بطرحه لوسائل أخرى كادت تنجح لمقارعة الطغيان. وطرحه كذلك لقيم ومبادئٍ أوسع مما ألفوه في السياسة والأخلاق، كادت تتحقق هي الأخرى، قبل أن ينفذ جهاديو صيدنايا و"الجوية" والمخابرات العسكرية وغيرهم ما خالط أنفسهم من إعجاب يسير بأخرين ليسوا منهم، وخاصةً بعد انحسار موجة النبل المؤقتة في سلوك الثوار في الأشهر الأولى للثورة. ليحزم الجهاديون السوريون الشبان، أو بعضهم، أمرهم مع جبهة النصر لأهل الشام في الأرياف المنتفضة في شرق البلاد وشمالها وجنوبها. ورغم جنونهم، يبدو الجهاديون السوريون أقل اهتماماً من أقرانهم المهاجرين بالجانب الرومانتيكي من التجربة. فالمهم عندهم أن يتمسكوا بجهادهم، وأن لا تفتّر هممهم في الانصياع لواجبات التكليف. كما تضمّ فئة المؤمنين بـ"الدولة" نوعاً ثانياً من السوريين، هم بعض الثوار من مقاتلين ومدنيين، ممن ضاقوا ذرعاً بتشتت الجيش الحرّ في تشكيلاتٍ متنافسةٍ وضعيفة، تعجز عن بناء جبهةٍ قويةٍ ومتماسكةٍ في وجه قوات الأسد، وتعجز كذلك عن وضع حدٍ للفساد والسرقة والفضوى في المناطق المحررة. ووقع هؤلاء تحت تأثير الدعاية التي برع "التنظيم" في ترويجها عن نفسه، من أنه الوسيلة الناجحة لمكافحة الفساد وهزيمة الأسد. وتعمق انتماؤهم إلى الدرجة التي أقدم فيها بعضهم على تنفيذ عملياتٍ استشهاديةٍ/ انتحاريةٍ اختصّ بها المهاجرون العرب عادةً. وشكل أفراد هذا النوع وقوداً لمعارك "الدولة" مع النظام، وفق ما تكشف قوائم الشهداء على جبهات القتال، وخاصةً في محافظة دير الزور.

# "بسطات" الرقة وسيلة عيش، تحاربها داعش

مرفت أمين

ليست ظاهرة البيع على "البسطات" جديدة في الرقة، لكنها استفحلت في عهد تنظيم "الدولة الإسلامية"، وشكّلت جزءاً أساسياً من أسواقها، ومنحت الكثيرين فرص عمل سهلة نسبياً في أجواء الحرب التي تشهدها المدينة، وكذلك في ظلّ التضيق المتزايد من قبل تنظيم "الدولة" على السكان. ولا يمكن تقدير عدد العاملين في هذه المهنة، إلا أن جولة واحدة في أي سوق أو شارع رئيسي تؤكد أننا أمام وجه من أوجه اقتصاد المدينة.

على قطعة أرض في شارع "23 شباط"، تقدّر بنحو 1500 متر، حاول تنظيم "الدولة الإسلامية" إنشاء مشروع عام أطلق عليه تسمية "أسواق الخير"، يتكوّن من عددٍ من الدكاكين الصغيرة جداً والمتلاصقة، تقدّم لقاء بدل انتفاع بقيمة 3000 ليرة يدفعها المستثمر شهرياً لصندوق التنظيم. وجاء المشروع، بحسب أهدافه، للحدّ من ظاهرة "البسطات" والباعة الجوالين، الذين يشغلون معظم الأرصفة في الشوارع الرئيسية في المدينة. وأسواق الخير هذه تجربة فاشلة، كما يعتبرها كثير من سكان الرقة، لأنها لم تقدّم الحلول العملية، وقلّدت تجارب مشابهة وفاشلة من عهد النظام. وأصدرت "دائرة الخدمات الإسلامية" قرارات تنظّم عمل "البسطات"، تشدّدت على وجه الخصوص مع بائعي المحروقات فجمعتهم في مكان واحد، حفاظاً على جمال المدينة، بحسب ما يقول أبو خباب، أحد عناصر التنظيم، الذي برّر خشونة التعامل في هذا الشأن بأن هؤلاء -يقصد الباعة على البسطات- لا يفهمون إلا بهذه الطريقة! في حين يشعر هؤلاء بالغضب دون أن يتمكنوا من التعبير عنه، كما يقول رامز، أحد باعة المحروقات، هامساً: "صدّقوا حالهم إنهم دولة وبلدية وشرطة، وصاروا يتسلطون على الناس". ويضيف رامز، وهو طالب جامعي سابق، أن طريقة البيع الحرة أتاحت فرص عمل كثيرة يحتاج إليها أبناء الرقة العاطلون عن العمل، فمن الممكن لأي شاب أن يبدأ مشروع الخاص في بيع مشتقات النفط بمبلغ لا يتجاوز 15 ألف ليرة. لكن قرار "داعش" أضع سبل الرزق على الكثيرين، ليضيف هموماً أخرى تدفع إلى التفكير بالنزوح بعيداً عن هذه المدينة، التي يقصفها طيران بشار وطيران التحالف من السماء، ويخنقها "الدواعش"



سيارات الحسبة تجوب شوارع الرقة - رويترز

على الأرض، بحسب ما لخص رامز واقع مدينته التي لم يكن يتوقع أن تضيق عليه إلى هذه الدرجة. عند تقاطع شارعي تل أبيض و23 شباط، يجلس أبو حسن يومياً لبيع الجوارب والقفازات الشتوية، متحملاً الظروف الجوية القاسية. ويذكر ميزات موقعه لـ "عين المدينة": "هين قريبين وبين الناس، يشوفون سعدنا بسهولة ويشترون". ويرفض الرجل التعليق على "أسواق الخير"، رغم أنه استأجر دكاناً هناك، ولكنه يفضل أن يبيع بضاعته هنا على الرصيف. وكذلك يفعل بائع حلويات متنقل على عربته تذرّع شارع تل أبيض، والشوارع المتفرّعة عنه، جيئةً وذهاباً طوال النهار. ومن أمام حديقة البجعة لم يوقف على بائع الأدوات الكهربائية، أعمال "بسطته" هو الآخر، رغم استنجاره لدكان في أسواق الخير. في الأشهر الأخيرة، انضم إلى "جماعة" العاطلين عن العمل في الرقة مئات من الموظفين الحكوميين المفضولين أو المحرومين من الرواتب، بناءً على توصيات أمنية بضرورة مراجعة أفرع المخابرات في المدن الواقعة تحت سيطرة النظام، وحُدّدت لموظفي الرقة لاستلام الرواتب الشهرية منها. تضاف إلى ذلك مخاطر الطريق الخاضع لسيطرة النظام بمدينة دير الزور، أو إلى الحسكة، أو إلى حماة التي كان آخر ضحايا حواجز شبّحتها ركاب حافلة صغيرة، كانوا في طريقهم من الرقة لاستلام رواتبهم قبل أن يتعرضوا لإطلاق نار مركز، وحتى التأكد من مقتل كل من كان فيها، بحسب ما أكد شهود كانوا قريبين من موقع الحادث. ويصف عادل، وهو موظف سابق ومهتمٌ بأحوال المدينة، ما يحدث للرقة بأنه كارثة بطيئة و"تمويت" بالتدريج: "وين تروح هالناس؟ ما بقى قدامها غير تصير مع داعش أحسن شي! أو تهجّ براها لبلد لحتى رب العالمين يفرجها بشي يوم ما أظنّه قريب أبداً".

## البحث عن المعتقلين في دمشق

نور أحمد

يعاني ذوو المعتقلين والمفقودين في سجون النظام الأسدّي من صعوبة الحصول على أيّة أخبار تخصّ أبناءهم وبناتهم، نظراً لاستمرار النظام بانتهاج سياسة إخفاء المعلومات بشأن مصير وأماكن المغيّبين في زنازينه. فنشأت إثر ذلك شبكات من السماسرة، تستغلّ قلة حيلة الأهالي. وهكذا تحوّلت ساحة المرجة، والمقاهي والكافيتريات القريبة من المحكمة المدنية، إلى ملعبٍ لعمليات النصب والتزوير. يقوم بها جيشٌ من المحامين المغورين، وموظفو المحاكم والعاطلون عن العمل، يطوفون حول مراكز تجمع الأهالي ليعرضوا خدماتهم في تحديد مكان احتجاز أولادهم، أو في الإفراج عنهم لقاء مبالغ مالية ضخمة.



توجيه لمعتقلين قبل إطلاق سراحهم - وكالة AP

وتقول حنان، التي اعتقل زوجها: وعدني أحدهم بالمساعدة، بعد أن أخبرني أنه يعمل بشكل سرّي مع أحد أفراد عائلة الأسد. وأخذ مني عهداً ألا أفشي "سرّه الكبير" هذا. ثم قال إن هناك من سيأتي لي بصورةٍ لزوجي. وبعد يومين، اتصل بي ليطلب ثمن الصورة 50 ألفاً، وليبلغني أنّ لديه واسطةً أخرى تستطيع إخراج زوجي من المعتقل لقاء مبلغ 500 ألف ليرة. فوجئت، ورفضت العرضين. لكنه، وبأسلوب مهذب، ألح عليّ أن أرى الصورة فقط، وسيدفع هو عني! كانت الصورة عبارة عن ورقةٍ تضمّ لائحةً

عنه. وهناك رأيت العجب؛ محامين متنقلين يعرضون وكالاتهم في حقائق مهترئة، يقفون على نفس الرصيف الذي نتجمع عليه، وسماسرة يلكزونك فجأةً ويخبرونك أنهم قادرون على المساعدة، لقاء دفعةٍ أولى فقط، والثانية عندما يتمّ أمر الإفراج المزعوم. وقد يدعوك أحدهم لفنجان قهوةٍ ليبرز عضلاته وقدراته الخارقة في معرفة مصائر الموقوفين؛ فهو على صلةٍ مع العميد فلان أو علان، وكلمته عنده لا تصير اثنتين. أو قد يكون قريباً لأحد موظفي الحكومة الكبار، أو حتى مقرباً من آل الأسد!

### آليات النصب والاحتيال

تقول أم حسين: حين لم أفلح في معرفة مصير ابني، الذي اعتقله الأمن العسكري في محافظة دير الزور؛ سافرت إلى دمشق لتوسيع دائرة بحثي هناك. فقد قيل لي إن الفرع لا يحتفظ بالمعتقل لأكثر من ستين يوماً، ثم يحوِّله إلى دمشق. وكنت قد عيبت من سؤالي عنه بلا نتيجةٍ ولا معلومةٍ تسكّن قلبي الذي هذه الخوف. وفي دمشق انضممت إلى طوابير الأمهات والأباء المتجمّعين حول المحكمة المدنية، فكانت هذه محطتي الأولى لانطلاق عملية البحث

أشهر صار أربعاً وعشرين مهجراً، رغم أننا كنا نفقد من مهجرتنا معتقلين أو أكثر تحت التعذيب أسبوعياً.

محمود، الخارج من سجن صيدنايا، يقول: ثلاث سنوات كنت ميتاً في نظر أهلي. إذ بعد إنهائي لخدمة العلم بشهرين اعتقلوني بتهمة محاولة الانشقاق، وساقوني إلى سجن صيدنايا، وأعلموا أهلي بموتي. مورس علينا التعذيب الوحشي، لكن جسدي كان قوياً فبقيت حياً.

زملء كثير ماتوا أمام عيني، وآخرون سيقوا ليعدموا ميدانياً. كنت أظن أنني سأقضي هناك، لكنني خرجت. وحينما تلا السجن اسمي لم أصدق.

جمعونا في غرفة كبيرة وأوسعونا ضرباً بأسياخ الحديد وأعقاب البواريد. لقد أفرغوا جام غضبهم فينا لأننا سنخرج.

ثم حملونا في شاحنة ورمونا عند مفترق الطرق المؤدية إلى دمشق. هناك رأيت النور لأول مرة بعد ثلاث سنوات.

بعد الثانية عشرة ظهراً، وأمام الباب الكبير للقصر العدلي، يشتد زحام أهالي المعتقلين يومياً، إذ تبدأ المحكمة عملها ويخرج المحظوظون من الفروع والسجون.

علاوي شاب يخرج الآن بثياب مهلهلة وشعر أشعث وعيون شاخصة، فتنجمع الأمهات حوله حاملات صور أبنائهن. هل رأيت ولدي هذا؟ أرجوك، انظر جيداً.

إنه في عمر؟ من أي فرع خرجت؟ أين كنت؟ خذ الشاي يا بني وهذه المعروكة. اجلس، اجلس هنا، تعال! ينظر مشدوهاً إلى الجميع ويقول: لم أر شيئاً. الظلام كان دامساً تحت. لا أعرف أين كنت. يقفز بقدم واحدة. يسنده أحدهم. يجلس على رصيف الشارع يخبط بيده على ساقه الخالية من قدم. يعلو صراخه ويجهش بالبكاء: أريد رجلي، ما بدّي شي، أريد رجلي.

أسماء المعتقلين المحولين من أفرع المخابرات إلى محكمة مكافحة الإرهاب. لكن هذا القسم لا يلبّي الغرض دائماً في ظل الفوضى المتعمدة هذه. "عشرون مرة بحثت في الأبدية، ولا وجود لاسم ولدي. سنتان ونصف والتحقيق معه لم ينته بعد؟ ثم يقولون لي راجعي الأمن الوطني. وعند المراجعة عودي بعد شهرين. ماذا ينتظرون؟ لم كل هذا التأجيل؟" تقول أم معتقل.

يقول عدنان: أكثرت السؤال عن ولدي فأخبروني في الشرطة العسكرية في القابون أن ابني ميت. سلموني هويته وطلبوا مني أن أذهب إلى مشفى تشرين لأخذ شهادة وفاته. حينما وصلت المشفى كنت محطماً. مددت يدي إلى جيب سترتي، حيث وضعت هوية ابني، وناولتها للموظف المسؤول دون أن ألقى عليها نظرة. بعد لحظات عاد يحمل ظرفاً. أخذته وخرجت. ارتيمت على مقعد سيارتي حزينا مهوداً. فتحت الظرف، كانت شهادة الوفاة لي، إذ أخطأت في إعطاء الموظف الهوية المطلوبة. ابني حي، وهم كاذبون. نعم هم كاذبون.

يقول عدنان: أكثرت السؤال عن ولدي فأخبروني في الشرطة العسكرية في القابون أن ابني ميت. سلموني هويته وطلبوا مني أن أذهب إلى مشفى تشرين لأخذ شهادة وفاته. حينما وصلت المشفى كنت محطماً. مددت يدي إلى جيب سترتي، حيث وضعت هوية ابني، وناولتها للموظف المسؤول دون أن ألقى عليها نظرة. بعد لحظات عاد يحمل ظرفاً. أخذته وخرجت. ارتيمت على مقعد سيارتي حزينا مهوداً. فتحت الظرف، كانت شهادة الوفاة لي، إذ أخطأت في إعطاء الموظف الهوية المطلوبة. ابني حي، وهم كاذبون. نعم هم كاذبون.

يقول عدنان: أكثرت السؤال عن ولدي فأخبروني في الشرطة العسكرية في القابون أن ابني ميت. سلموني هويته وطلبوا مني أن أذهب إلى مشفى تشرين لأخذ شهادة وفاته. حينما وصلت المشفى كنت محطماً. مددت يدي إلى جيب سترتي، حيث وضعت هوية ابني، وناولتها للموظف المسؤول دون أن ألقى عليها نظرة. بعد لحظات عاد يحمل ظرفاً. أخذته وخرجت. ارتيمت على مقعد سيارتي حزينا مهوداً. فتحت الظرف، كانت شهادة الوفاة لي، إذ أخطأت في إعطاء الموظف الهوية المطلوبة. ابني حي، وهم كاذبون. نعم هم كاذبون.

يقول عدنان: أكثرت السؤال عن ولدي فأخبروني في الشرطة العسكرية في القابون أن ابني ميت. سلموني هويته وطلبوا مني أن أذهب إلى مشفى تشرين لأخذ شهادة وفاته. حينما وصلت المشفى كنت محطماً. مددت يدي إلى جيب سترتي، حيث وضعت هوية ابني، وناولتها للموظف المسؤول دون أن ألقى عليها نظرة. بعد لحظات عاد يحمل ظرفاً. أخذته وخرجت. ارتيمت على مقعد سيارتي حزينا مهوداً. فتحت الظرف، كانت شهادة الوفاة لي، إذ أخطأت في إعطاء الموظف الهوية المطلوبة. ابني حي، وهم كاذبون. نعم هم كاذبون.

يقول عدنان: أكثرت السؤال عن ولدي فأخبروني في الشرطة العسكرية في القابون أن ابني ميت. سلموني هويته وطلبوا مني أن أذهب إلى مشفى تشرين لأخذ شهادة وفاته. حينما وصلت المشفى كنت محطماً. مددت يدي إلى جيب سترتي، حيث وضعت هوية ابني، وناولتها للموظف المسؤول دون أن ألقى عليها نظرة. بعد لحظات عاد يحمل ظرفاً. أخذته وخرجت. ارتيمت على مقعد سيارتي حزينا مهوداً. فتحت الظرف، كانت شهادة الوفاة لي، إذ أخطأت في إعطاء الموظف الهوية المطلوبة. ابني حي، وهم كاذبون. نعم هم كاذبون.

يقول عدنان: أكثرت السؤال عن ولدي فأخبروني في الشرطة العسكرية في القابون أن ابني ميت. سلموني هويته وطلبوا مني أن أذهب إلى مشفى تشرين لأخذ شهادة وفاته. حينما وصلت المشفى كنت محطماً. مددت يدي إلى جيب سترتي، حيث وضعت هوية ابني، وناولتها للموظف المسؤول دون أن ألقى عليها نظرة. بعد لحظات عاد يحمل ظرفاً. أخذته وخرجت. ارتيمت على مقعد سيارتي حزينا مهوداً. فتحت الظرف، كانت شهادة الوفاة لي، إذ أخطأت في إعطاء الموظف الهوية المطلوبة. ابني حي، وهم كاذبون. نعم هم كاذبون.

يقول عبد الله: سنتاً ونيّف قضيتها مرمياً في المهجع رقم 11 في أقبية فرع فلسطين. كنا مغيبين ومعدّين، وأنا والكثير من زملاء الاعتقال. هناك من مضت عليه سنتان في المهجع. ولم تحدث أية زيادة في أعدادنا إلا حينما توارد همساً أنّ عفواً سيصدر عما قريب. عمّت الفوضى أياماً وامتلات الشواغر الكثيرة التي أحدثها موت الكثير منا، وافتتحت مهاجع إضافية أخرى، وغصت الأقبية بالوافدين الجدد، ثم فجأة عادت الحركة إلى ما كانت عليه من الهدوء.

حينما دخلت المعتقل في هذا الفرع كان عدد المهاجع الجماعية ستة عشر. وبعد ثمانية

بأسماء مؤرشفة، وكان اسم زوجي واسم أبيه وأمه ضمن هذه اللائحة، بالإضافة إلى رقم من إحدى عشرة خانة. وحينما استفسرت عن الرقم قال إنه الرقم الوطني لزوجي. أمعنت النظر فيه. لم يكن رقمه الوطني الذي بت أحفظه عن ظهر قلب، كان مختلفاً. ولولا أنني أحتفظ بصورة لهويته في حقيبتي لكنت وقعت في فخ نصبهم واحتيالهم. تقول فاطمة بغضب: ننتظر هنا منذ شهر، ولا يخرج إلا حديثو الاعتقال.

أولادنا "تخوا" في السجون، سنتين وثلاث. أين هم؟ طلبوا مني تسجيل اسم ابني مع المفقودين ومراجعتهم لاحقاً. عشر مرات سجلته والجواب في كل مرة غير موجود. أين ذهبوا بأولادنا؟

أين هم؟ طلبوا مني تسجيل اسم ابني مع المفقودين ومراجعتهم لاحقاً. عشر مرات سجلته والجواب في كل مرة غير موجود. أين ذهبوا بأولادنا؟

أين هم؟ طلبوا مني تسجيل اسم ابني مع المفقودين ومراجعتهم لاحقاً. عشر مرات سجلته والجواب في كل مرة غير موجود. أين ذهبوا بأولادنا؟

أين هم؟ طلبوا مني تسجيل اسم ابني مع المفقودين ومراجعتهم لاحقاً. عشر مرات سجلته والجواب في كل مرة غير موجود. أين ذهبوا بأولادنا؟

أين هم؟ طلبوا مني تسجيل اسم ابني مع المفقودين ومراجعتهم لاحقاً. عشر مرات سجلته والجواب في كل مرة غير موجود. أين ذهبوا بأولادنا؟

أين هم؟ طلبوا مني تسجيل اسم ابني مع المفقودين ومراجعتهم لاحقاً. عشر مرات سجلته والجواب في كل مرة غير موجود. أين ذهبوا بأولادنا؟

أين هم؟ طلبوا مني تسجيل اسم ابني مع المفقودين ومراجعتهم لاحقاً. عشر مرات سجلته والجواب في كل مرة غير موجود. أين ذهبوا بأولادنا؟

أين هم؟ طلبوا مني تسجيل اسم ابني مع المفقودين ومراجعتهم لاحقاً. عشر مرات سجلته والجواب في كل مرة غير موجود. أين ذهبوا بأولادنا؟

أين هم؟ طلبوا مني تسجيل اسم ابني مع المفقودين ومراجعتهم لاحقاً. عشر مرات سجلته والجواب في كل مرة غير موجود. أين ذهبوا بأولادنا؟

أين هم؟ طلبوا مني تسجيل اسم ابني مع المفقودين ومراجعتهم لاحقاً. عشر مرات سجلته والجواب في كل مرة غير موجود. أين ذهبوا بأولادنا؟

أين هم؟ طلبوا مني تسجيل اسم ابني مع المفقودين ومراجعتهم لاحقاً. عشر مرات سجلته والجواب في كل مرة غير موجود. أين ذهبوا بأولادنا؟

أين هم؟ طلبوا مني تسجيل اسم ابني مع المفقودين ومراجعتهم لاحقاً. عشر مرات سجلته والجواب في كل مرة غير موجود. أين ذهبوا بأولادنا؟

أين هم؟ طلبوا مني تسجيل اسم ابني مع المفقودين ومراجعتهم لاحقاً. عشر مرات سجلته والجواب في كل مرة غير موجود. أين ذهبوا بأولادنا؟

توصّلت لجنة الأمم المتحدة المختصة بالتحقيق في انتهاكات حقوق الإنسان في سوريا، في تقرير لها نشر في كانون الأول 2013، إلى أنّ السلطات السورية ترفض إعطاء أية معلومات بشأن مصير أو أماكن وجود الأشخاص المخفيين. ويبدو أن هذه سياسة متبعة من قبل السلطات لحرمان الأسر من الحصول على أية معلومة. وفي بعض الحالات يتم اعتقال الأقارب الذين يقتربون من أجهزة الأمن، مما ينتج عنه مزيد من الانتهاك من قبل السلطات السورية لحق هذه الأسر في معرفة الحقيقة فيما يتعلق بظروف الاختفاء القسري ومصير الأشخاص المختفين.

## انتقل الأهل...

## عن أحوال السجناء الإسلاميين في الثمانينات

عمر الباشا

لم يكن هناك أي تفسير للعبارات التي كتبت على ورقة ألصقت على الجدار بجانب باب إحدى الشقق: «يا أخ فائز... انتقل الأهل إلى العنوان التالي: سيف الدولة. موقف العلوم. جانب صيدلية العلوم. بناية المدينة...». يتطلب الأمر كثيراً حتى تفهم أن عائلة أحد مفقودي الثمانينات قد اضطرت إلى تغيير منزلها، وكتبت هذه الورقة أملاً في ظهوره المفاجئ!

كان الزمن في أوائل التسعينات. وكانت الدفعات الأولى من المخرج عنهم من سجن تدمر - وسواها - تظهر فجأة كشبح عائد من الموت، يطرق باب منزل عائلته دون سابق إنذار، زائغ البصر، يشبه ذلك الذي غاب منذ عقد من الزمن، أو أكثر، ويختلف عنه وكأنه أطلاله أو حطامه، لا بسبب النحافة الشديدة لجسده والأسمال البالية التي جاء مرتدياً لها فقط، بل بتأثير وشم لا يُحى أثره في النفس، سيستمر في الظهور حتى بعد أن يعاود القريب/ الغريب تناول أطعمة الأم، والجلوس بين المهنيين صامتاً وكأنه مدعور، ولزمن طويل جداً في المستقبل.



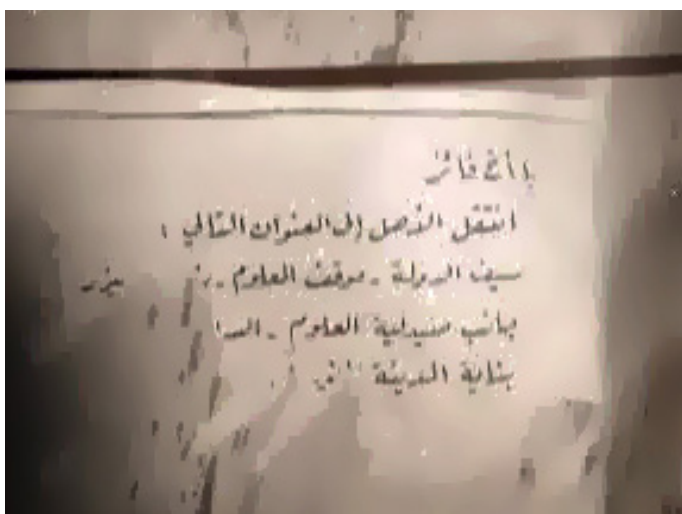
كانت غالبية السجناء الإسلاميين من نزلاء سجن تدمر، حيث ينقطع المرء عن العالم الخارجي تماماً، وينقطع العالم عنه. إذ ليس في «نظام» تدمر زيارات، كتلك التي في السجون السياسية الأخرى، حيث أودع المعتقلون اليساريون أساساً. كما لم تلتزم الأجهزة الأمنية أو سواها بإبلاغ ذوي المفقودين أي شيء عنهم، مما ترك هؤلاء الأهالي فريسة التناوب بين الأمل واليأس، وفي مهبط الإشاعات والأخبار الطائشة والقصيرة، فضلاً عن تفسير «منامات» الأم أو الأب أو أي قريب محتمل.

فعلى خلاف عقد السبعينات، عندما كان ذوو المعتقلين يعرفون، على الأقل، أماكن احتجاز أبنائهم، ويطمنون عموماً إلى أنهم أحياء هناك، ما لم يحدث ما هو خارج المألوف، ويزورونهم، وإن وسط جو من البيروقراطية الأمنية المعادية؛ جاءت الثمانينات دامت في هذا الملف، كما كانت مظلمة في كل شيء تقريباً. فقد جرى التعقيم على مصير من سُجن بتهمة الانتماء إلى جماعة الإخوان المسلمين. ولم تُجب الجهات المعنية على السؤال البديهي والملح: أهم أحياء أم أموات؟!



في روايته التوثيقية «القوقعة» يروي مصطفى خليفة حكاية الزيارات في سجن تدمر، والتي كانت خارج «النظام»، واستمرت لستة أشهر فقط، حتى نُقل مدير السجن الذي كانت والدته تستلم من ذوي أي معتقل كيلو غراماً من الذهب مقابل ورقة بالسماح بالزيارة. وخلال الأشهر الستة هذه أحصى السجناء 665 كيلو من الذهب قد وصلت إلى مدير السجن.

أما في حلب، التي كان كثير من سجناء الإخوان المسلمين ينتمون إليها، فقد لعبت والدة زهير مشاركة، الأمين القطري المساعد لحزب البعث ونائب رئيس الجمهورية، وفق تعريف الإعلام الرسمي، هذا الدور. ولكن يبدو أن قلب السيدة مشاركة كان أرحم، إذ كانت تكتفي بأساور ذهبية معتبرة الوزن مقابل الزيارة، دون أن يصل بها الطمع إلى اشتراط الكيلوغرام، كما في «التسعيرة» أنفة الذكر!



يتضمن الإعلان بشأن المبادئ الأساسية لتوفير العدالة لضحايا الجريمة وإساءة استعمال السلطة، الذي اعتمد من قبل الجمعية العامة للأمم المتحدة بتاريخ 1985، جملة من المبادئ المنصوص عليها في القسم المعنون بـ«العلاقات الاجتماعية والرعاية بعد السجن»، تتناول بعض التفاصيل التي تتعلق بحياة السجناء ثم المخرج عنه:

79- تُبذل عناية خاصة لصيانة وتحسين علاقات السجناء بأسرتهم، بقدر ما يكون ذلك في صالح كلا الطرفين.

80- يوضع في الاعتبار، منذ بداية تنفيذ الحكم، مستقبل السجناء بعد إطلاق سراحهم، ويشجع ويساعد على أن يواصل، أو يقيم، من العلاقات مع الأشخاص أو الهيئات خارج السجن، وكل ما من شأنه خدمة مصالح أسرته وتيسير إعادة تأهيله الاجتماعي.

1/81- على الإدارات والهيئات الحكومية أو الخاصة، التي تساعد الخارجين من السجن على العودة إلى احتلال مكانهم في المجتمع، أن تسعى بقدر الإمكان لجعلهم يحصلون على الوثائق وأوراق الهوية الضرورية، وعلى المسكن والعمل المناسبين، وعلى ثياب لائقة تناسب المناخ والفصل، وأن توفر لهم من الموارد ما يكفي لوصولهم إلى وجهتهم ولتأمين أسباب العيش لهم خلال الفترة التي تلي مباشرة إطلاق سراحهم.

# دروب ما بعد المعتقل... تقريرٌ حقوقيّ

محمد عثمان

لا تتوقف معاناة تجربة السجن السياسي بمجرد الإفراج عن المعتقل، بل تمتد لتطال حياته ومستقبله. ولهذا خصص معداً هذا التقرير، الناشطة الحقوقية رزان زيتونة والدكتور حسام السعد، جهدهما هنا للحديث عن معاناة معتقلي الرأي في سوريا بعد الإفراج عنهم، معتمدين بشكل أساسي على شهادات السجناء السابقين، للاطلاع على الآثار التي خلفتها هذه التجربة، على المستويين الاجتماعي والنفس.

واختلف التأثير على الطباع والعادات الشخصية من سجين لآخر، وبحسب ظروف السجن وطول مدة الاعتقال أو قصرها. ففإن حال قال معظم إن طباعهم تغيرت نحو الأفضل، باكتساب الهدوء والتروّي، وهذا طباعاً بسبب التحكم بالأمزجة والطباع الحادة التي من شأنها أن تسبب العقوبة داخل السجن؛ فقد اعترف البعض الآخر أن طباعاً سيئاً تملكتهم بسبب السجن، منها سرعة الغضب والمزاجية وسرعة الملل والتعامل بشكل حدي مع الآخرين، في كثير من الأحيان.

أما اقتصادياً فقد لعبت عودة السجن إلى عمله السابق، أو إيجاد عمل جديد مستقر، دوراً هاماً في الانخراط في المجتمع، وبدء تجاوز آثار السجن، ووضع تجربته في سياقها الإيجابي. وقد تحقق هذا بسهولة لدى البعض، ولا سيما في أعمال القطاع الخاص. أما من كان موظفاً حكومياً قبل اعتقاله، فقد خضع لقرار الأجهزة الأمنية بعودته إلى عمله من عدمها. ولم توجد قاعدة محددة في هذا الإطار.

وقد عجزت منظمات المجتمع المدني، حديثة النشأة في سوريا، عن تقديم مساعدة ملموسة للمفرج عنهم. أما المنظمات الدولية، فقد قدمت مساعدات محدودة لعدد قليل جداً من المعتقلين السابقين، تمثلت أساساً بمنح لتلقي العلاج في الحالات الصحية الصعبة.

وإذا كانت سورية تحت حكم البعث قد غدت مسرحاً لانتهاكات جسيمة لحقوق الإنسان، فإن ظاهرة الاعتقال السياسي فيها أخذت تنحو منحىً ممنهجاً ومنتظماً مع مطلع عقد الثمانينات من القرن الماضي. وهي المرحلة التي ينتمي إليها من قابلهم معداً هذا التقرير الصادر في 2006.

إذ تقدّر الأحزاب السياسية والمنظمات الحقوقية عدد من جرى اعتقالهم، بدءاً من أواخر السبعينات إلى نهاية الثمانينات، بعشرات الآلاف. أخذين في الاعتبار الأعداد الكبيرة لمن تعرّضوا للاختفاء القسري، وانقطعت أخبارهم نهائياً عن ذويهم، والذين تقدّر المنظمات الحقوقية أعدادهم بـ 17 ألف مفقود.

وقد تمحورت أسئلة المقابلات حول نقاط: القبول الأسري (الوالدين، الإخوة، الزوجة، الأولاد)؛ القبول الاجتماعي (الأقارب، الأصدقاء، الحي)؛ اختلاف القيم وأثرها في الاندماج الاجتماعي للسجين السابق؛ تقييم التجربة، سلبي وإيجابي، وأثره في تجاوزها؛ تأثير التجربة في الطباع الشخصية والتعاطي مع المحيط.

وقد لاحظ الباحثان أن وجود جو من القبول الأسري لضرورة العمل السياسي، أو لحق الفرد داخل الأسرة باختيار توجهاته السياسية، أسهم إلى حد كبير في التعامل مع تجربة السجن كعامل دفع وتحدٍ لا عامل إحباط. فالتقدير الأسري والعائلي لتجربة السجن يزيل الكثير من المعوقات الحياتية أمامه. وقد أسهمت بعض الأسر في ترسيخ جدية وإيجابية التجربة، وكذلك في تجنب السجن الإرباكات الاقتصادية المعيشية أثناء الاعتقال، وفي المراحل الأولى بعد خروجه. بخلاف التجارب التي أسهم فيها اللوم والعتاب وسوء التقدير في تكريس مشكلات حقيقية في العلاقة الأسرية.

ويزداد الأمر صعوبةً بوجود الأطفال الذين كبروا أثناء وجود المعتقل في السجن. فغياب الأهل عن مراحل مهمة من حياة وتربية أبنائهم يخلق أزمات واضحة في العلاقة بين الطرفين. وهو أمر يبدو تجاوزه صعباً في بداية العلاقة المستأنفة بين الآباء، بعد خروجهم من السجن، وبين الأبناء.

أما من الناحية الاجتماعية فيعاني الخارج من المعتقل من إشكالية اندماج، تبدو سياسات السجن وآليات عملها هي المسؤولة عنها بالدرجة الأولى. ففي السجن يتشكل مجتمع صغير وضيق، يختلف عن المجتمع في الخارج. وتحكم هذا المجتمع ثقافة ومعايير تتمركز حول الشعور بالظلم والغبن والنزوع إلى العنف. وتتشكل قواعد رئيسة وخطوط عامة داخل السجن، من المحتمل مواجهة صعوبة كبيرة في تجاوزها بعد الخروج، لا سيما بعد جهود كبيرة عاناها السجناء للتكيف مع وضعهم. وبهذا يجد السجن السابق نفسه مضطراً إلى إعادة إنتاج وخلق آليات تمكنه من التعاطي مع العالم الخارجي، لأن هذه المشكلة هي مشكلته، حسب المعايير المجتمعية.





# بعد التضامن مع ضحايا جريمة شارلي ايبندو

سولي أوزل / كاتب تركي مختص في الشؤون الدولية

ترجمة بكر صدقي. عن يومية خبر ترك 2015\1\14

من المحتمل أن تشكل مجزرة باريس نقطة انعطاف في شؤون العالم، تماماً كهجمات الحادي عشر من أيلول، ولكن مع فوارق مهمة أيضاً. ثمة ما يقارب الإجماع في الرأي أخذ يتشكل حول ربط الجناة بفرع اليمن لتنظيم القاعدة (قاعدة اليمن وشبه الجزيرة العربية). صحيح أن منقذ الهجوم على المتجر اليهودي، المدعو "كوليبالي"، قد أعلن مبايعته لـ "داعش" في شريط فيديو، لكن هذه العلاقة لم تتأكد بأدلة يقينية بعد.

النظر الأميركية، الداعية إلى دعم الإسلام المعتدل في مواجهة الحركات الراديكالية، نصيب كبير في تحميل مسؤولية رفض البرلمان التركي للمشاركة في غزو العراق، من خلال فتح الحدود أمام قوات الحلفاء، للمؤسسة العسكرية التركية بدلاً من حكومة حزب العدالة والتنمية؛ كما في ازدياد واشنطن لمعارضتي العدالة والتنمية من الأحزاب التركية.

نتذكر جميعاً أن وزير الخارجية الألماني من حزب الخضر "يوشكا فيشر" كان قد أعلن دعمه التام لعضوية تركيا في الاتحاد الأوروبي، في الشروط التي نتجت عن هجمات 11 أيلول. لاقت فكرة النظام الذي يجمع بين الديمقراطية القائمة على دعائمي الليبرالية المأسسة والتشريع العلماني من جهة، والتفضيلات الثقافية الإسلامية من جهة أخرى، مساندة دولية كبيرة، إضافة إلى ما أثارته من فضول معرفي.

الحماسة لـ "نموذج التركي"، التي ظهرت بمناسبة ثورات الربيع العربي، كانت امتداداً للنظرة نفسها. لكن فشل حركة الإخوان المسلمين في مصر بصورة خاصة، وإخفاق الحركات الإسلامية عموماً في الحفاظ على مسافة بينها وبين العنف، أدت إلى تلاشي تلك النظرة الرومانسية لـ "إسلام المعتدل". ازداد الغموض باطِّراد بشأن مفهوم الإسلاميين عن البنية الاجتماعية، وفيما يميز المعتدلين عن المتشددين في فهمهما لموقع الدين في الحياة الاجتماعية، وموقع الفرد والمرأة بصورة خاصة في المجتمع المسلم، وحقوق الأفراد وحرّياتهم.

حدثت جريمة باريس في هذا المناخ. تلقى النظام الليبرالي الغربي ومفهومه ضربة كبيرة. ردّة الفعل الأوروبية (وأي مقدماتها فرنسا) ستحدّد أسس نظام المستقبل.

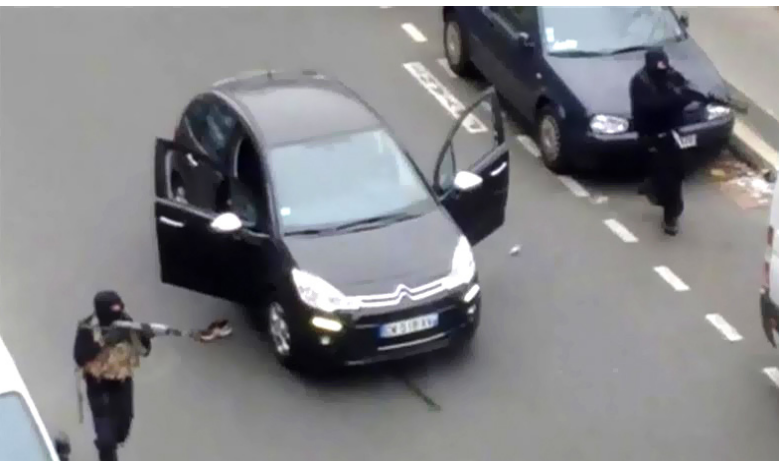
كتب الصحفي الباكستاني الخبير بشؤون جماعات القاعدة أحمد رشيد، في موقع مجلة "نيويورك ريفيو أوف بوكس" الإلكتروني يقول: "إن اتجاه أنظار العالم، في العامين الأخيرين، وبصورة أخص منذ سقوط الموصل، نحو تنظيم داعش، قد أفاد الفرع اليمني لمنظمة القاعدة". كذلك نبهت الكاتبة بنار تريملاي، في مقالتها في موقع T-24 الإلكتروني التركي، إلى وجود عدم إهمال مراقبة أنشطة الفرع اليمني المذكور، مشيرة إلى الفوارق بين منهج عملياتها ومنهج عمليات "داعش"، والتنافس القائم بين المجموعتين الجهاديتين.

ولعل أهمّ الفوارق بين المنظمتين هو تركيز "داعش" على "العدو القريب" مقابل مواصلة القاعدة تركيزها على "العدو البعيد". وفقاً لأحمد رشيد "يمكن لهجمات باريس أن تدفع الحكومات في الدول الغربية إلى إجراء تغييرات كبيرة في طريقة عملها، تماماً كما أرادت القاعدة من وراء هجومها على البرجين التوأمين لمبنى منظمة التجارة العالمية في نيويورك". ستستمر منظمة القاعدة في اليمن في اعتبار تركيع الرأسماليات الغربية هدفاً استراتيجياً لها. أو بالأحرى، دفع دول الغرب إلى ردات فعل تجعلها تتخلى عن قيمها المؤسسة التي حصلتها نتيجة تاريخ طويل من المعاناة والألام.

ردّة الفعل الأميركية على هجمات 11 أيلول تشكلت، في عهد جورج دبليو بوش، على أيدي المحافظين الجدد. وكان الهدف الصريح لمشروعهم هو فرض الهيمنة الأميركية على العالم من جديد بواسطة القوة العسكرية. فقد أرادوا إظهار أبعاد القوة الأميركية أمام العالم، جنباً إلى جنب مع إنشاء نظام إقليمي جديد في الشرق الأوسط. وكان يتوجب الحفاظ على مظهر ديمقراطي في النظام الجديد للشرق الأوسط.

العنصر الآخر الذي برز في تصورات المحافظين الجدد هو فكرة دعم "الإسلام المعتدل" في مواجهة الحركات الإسلامية الراديكالية. صحيح أن العلاقات الأميركية الوثيقة مع نظام مبارك في مصر منعته من ممارسة ضغوط شديدة عليه، لكن الضغوط الأميركية هي التي فتحت الطريق أمام الإخوان المسلمين لدخول البرلمان بصفة مرشحين مستقلين.

في تلك الفترة ارتفعت أسهم النموذج التركي بسبب حزب العدالة والتنمية ذي الخلفية الإسلامية، الذي سرّع من خطواته على طريق الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي، واختط وجهة نحو ديموقراطية أكثر انفتاحاً وأكثر احتراماً للقانون. كان لوجهته



# اللاجئون السوريون يواجهون شتاءً عصيباً في لبنان

روث شيرلوك - دايلي تلغراف

ترجمة مأمون حليبي

حمل أخيها الأصغر لتحمي قدميه من الأرض المتجمدة. ناريمان، من حمص، ملأت أرض الخيمة بالأواني لتجمع الماء الذي كان يتساقط نقاتاً من سطح خيمتها. مريم، 19 عاماً، وصفت الخوف الذي شعرت به في الليلة السابقة، عندما بدأت الجدران تنحني تحت ثقل الثلوج: "ركضنا من الخيمة في منتصف الليل، لأننا كنا خائفين من أن تهوي فوقنا. نمنا في بيت أحد جيراننا. تقريباً كل الخيام تضررت بشكل أو بآخر، والخيام التي لم تتضرر تنام فيها خمس أو ست عائلات حالياً". بدأت مفضية اللاجئين، منذ الخريف، باتخاذ إجراءات لمواجهة احتمال الطقس السيء، فوزعت النقود ومواقد الطبخ وقسائم الوقود والبطانيات للأكثر ضعفاً. وقرابة 250 ألف شخص يعيشون في عنابر محطمة ومباني غير مكتملة تم إعطاؤهم عوازل بلاستيكية للأسرة وخشباً وأدوات عازلة أساسية. لكن بنيت كييلي، ممثلة المفوضية في لبنان، قالت إن هذا كله لا يكفي: "بالرغم من جهودنا القصوى، يبقى وضع اللاجئين في لبنان خطيراً، بالنظر إلى الظروف شديدة البؤس التي يعيشون فيها، وكذلك تبعثرهم. إنه لتحدي مستمر ضمان أن يبقى اللاجئين، المبعثرون في أكثر من 1700 مكان، آمنين ودافئين في الشتاء".

حوالي نصف عدد سكان سورية، الذي يبلغ حوالي 22 مليون نسمة، هجروا بيوتهم في النزاع الذي حصد أرواح أكثر من 200 ألف شخص. وشهدت الكارثة هروب حوالي 1.5 مليون شخص عبر الحدود إلى لبنان الصغير، الذي يعاني أصلاً من آثار حربه الأهلية التي دامت 15 عاماً. لقد وضعت التأثيرات الاقتصادية والاجتماعية لهذا التدفق عبئاً لا يُطاق على الجماعات المضيفة. وحتى عندما ازداد عدد الذين هم في حاجة ماسة إلى المساعدة، شهد مستوى المساعدات الدولية انخفاضاً كبيراً، تاركاً عشرات الآلاف في شروط يائسة ودون أية وسائل للنجاة.

لكن العودة إلى سورية ليست خياراً، كما تقول إحدى السيدات التي كان منزلها مدمراً: "الله سيحمينا. هذا هو أملنا الوحيد".

ملأت حنان وثلاث من صديقاتها أوانيهن بالثلج ثم أفرغنها ليشكلن أبراجاً للقلعة التي كن يبنينها. كانت لحظة راحة بريئة للطفلات - جميعهن دون الثامنة - اللواتي أمضين نصف حياتهن يتحملن العنف وحرمان الحرب. لكن، في الخيمة وراءهن، كانت أم حنان في حالة يأس. لقد تسببت العاصفة، الأعنف التي تحل بلبنان على مدى عشر سنوات، بحالة من الفوضى في مخيم اللاجئين الذي اعتبرته أم حنان موطنهم طيلة السنتين الماضيتين، منذ أن فرّت مع عائلتها من الحرب في سوريا. كان موقد الطبخ الصغير تم استهلاكه، ولم يكن لديهم نقود لشراء المزيد. البطانيات والفرش كانت مبللة بعد أن انهار سقف الخيمة جزئياً تحت ثقل الثلج. كان من الظاهر أنه ما من سبيل لإبقاء أطفالها دافئين مع حلول ليلة درجة حرارتها تحت الصفر. "الخيمة شديدة البرودة ورطبة"، قالت أم حنان، التي رفضت بأدب إعطاء اسمها، وهو أمر شائع بين اللاجئين السوريين الذين يعيشون في خوف دائم من ردود الفعل الانتقامية.

تعاونت وكالات إغاثة محلية ودولية لمساعدة مئات آلاف السوريين الذين يعيشون في لبنان في ظروف مزريّة. لكن، حتى في أفضل المخيمات، هناك نساء ينتظرن في طابور وأقدامهن مكشوفة ودون ملابس شتوية. لقد مضت أربع سنوات منذ أن بدأت الحرب في سورية، وما زال كثير من اللاجئين يملكون فقط الملابس الممزقة التي فرّوا بها. كثير من النسوة الهاربات من إطلاق النار، ودون أن تكون لديهن فكرة عما كان بانتظارهن، التقطن على عجل مقنياتهن المفضلة. البارحة ضجّ المخيم بأصوات دق المطارق والكنس والصراخ، عندما حاولت بعض العائلات إصلاح سبعة بيوت إيواء خشبية وقماشية انهارت جزئياً. رجالاً وفتية صغار مشوا بتناقل في طين يصل إلى مستوى قصبته الساق وهم يترنحون، وأحياناً يقعون على ركبهم، أثناء محاولتهم جر ألواح خشبية وأقمشة إلى خيامهم. في زقاق ضيق بين الخيام طفل، عمره أقل من ثلاث سنوات، يمشي حافياً وينسج باكياً لأنه أضاع والديه. فتاة ترتدي فيزونا رقيقاً وكنزة خفيفة وكلاشاً صيفياً كانت تجهد في



## أتباع رفعت الأسد

إلى الماضي في صور شخصية يرسلها المشتاقون إليه، لمناسباتٍ عسكرية، أو دوراتٍ مظليين، أو أيام "وطنية"، ألقى فيها القائد كلمةً، وكان مرسل الصورة أحد الحاضرين. فيرتفع الدعاء من الجميع، "الرفعتيين" و"البشاريين"، بأن يعيد الله تلك الأيام الجميلة، أيام رفعت الأسد.



"الرفعتيون، محبو القائد" و"البشاريون الداعمون لعودة الدكتور رفعت الأسد" جماعتان، تعبّر كل منهما عن نفسها في منبر خاص على موقع الفيسبوك. ويحدو كلا منهما الأمل بأن تكون عودة "القائد الدكتور" إلى سوريا قريبة. وتنطلق الدعوات بأن يعود رفعت ويصالح ابن أخيه، ليجتمع شمل العائلة الأسديّة ويلتئم عقدها مرةً أخرى، فينعم الوطن بهذا الالتئام. ويكتب كبير وراقي القائد، أنور أصفري، وهو صحفي حليبيّ متخصص في شؤون رفعت، أمضى في سجون عائلة الأسد 21 عاماً، أن "العودة قد حانت، وأن الوطن بحاجة لمبادرة، وأنهم في التجمع القومي الديمقراطي الموحد اجتمعوا في إسبانيا، للتداول في حلول للأزمة". وينشر صورة لاجتماعهم هذا الذي لم يظهر فيه رفعت الأسد، إنما ظهر عشرون شخصاً من أتباعه بينهم امرأةٌ محجّبة. ويروح أصفري عن أنفس "الرفعتيين" قليلاً بصورة حديثه جداً للقائد، التقطها هو بنفسه قبل يومين. وتحصد الصورة عدداً وافراً من الإعجابات، وتشاركها صفحة "البشاريون الداعمون...". وتلهب الحماسة في قلوب أبناء الجماعتين؛ فتكتب "لولو البحر" معلقاً على الصورة: "منحك يا دكتور رفعت، أنت أبونا وأخونا، وبوجودك ووجود رئيسنا مندعس الخونة". ويعلن "أبو سبيرو الأسد" موقفه السياسي: "أنا رئيسي بشار وقائدي رفعت"، ثم يشيد بالتاريخ الحافل بمجد إبادة الإخوان المسلمين، والجغرافيا التي زرعا القائد "فخاراً". وتعبّر نسوة يمقتن خصومات ذوي القربى عن يقينهن بأن الدم الأسدي لن يصير ماءً. ويبرز الشوق

## حكايات تؤلم الشبيبة

الصومال بيوتاً استشهد بعض أبنائها ويقاوم آخرون منهم في صفوف الجيش؛ تنفي صفحة أخرى فعلاً مشيناً لم تقم به دولة متأخرة جداً مثل الصومال في حق شهدائها، وقامت به بلدية اللاذقية في هجومها الأخير "لتهدم أبنية مخالفة، في حشد لآليات وقوة حماية كان يمكن لها أن تحرر جوبر"، كما يأسف الشبيحة الذين تداولوا مقطعاً مصوراً يوثق هذه الحادثة، مشفوعاً بسيل من الشتائم بحق مسؤولي اللاذقية المحليين. وإلى جانب الوظيفة والمسكن، يذكر المؤيدون مازوت التدفئة، مع تصوّر لعائلة "شهيد" ترتجف من البرد، وعائلة أخرى تحلم بأسطوانة غاز، بينما يقاوم ابنها على جبهة حقل الشاعر للغاز.

يفترض مؤيدو الأسد أن في كل دولة من دول العالم "شهداء" عسكريون سقطوا في حروب جيشها مع عدو ما، وأن في كل منها برنامج رعاية لذوي هؤلاء الشهداء. ويجعلون برامج البلدان الأفريقية في أسفل سلم برامج الشهداء الدولية، ويقيسون عليها تنكر المسؤولين لعائلات من ضحوا بأرواحهم فداءً لسوريا الأسد. فتتناقل صفحات مؤيدة عدّة حكاية زوجة الشهيد التي توسلت إلى أصغر مسؤولي اللاذقية من أجل عقد وظيفة لمدة ثلاثة أشهر في مديرية الزراعة. "وأين مرسوم السيد الرئيس؟" تطرح الحكاية تساؤلاً أخلاقياً وتختتم باستنكار: "لو كان الشهيد بالموزمبيق، لكانت زوجته قد توظفت بعقد دائم". ولا تهدم



مجلة عين المدينة | نصف شهرية سياسية متنوعة مستقلة

- لا تعبر المقالات المنشورة عن رأي المجلة بالضرورة.  
- ترحب المجلة بمساهماتكم غير المنشورة سابقاً.

facebook.com/3aynAlmadina  
twitter.com/3aynAlmadina

فيس بوك  
تويتر

www.3ayn-almadina.com | info@3ayn-almadina.com

## دير الزور... وقفة على طلل

